مجلة كلية الآداب ـــ جـــامعة بنغازي
العدد 48 (أغسطس 2020)
ISSN : 2523 – 1871(online)
الصفحة 166

زاوية عين كلك في تشاد
من الدعوة إلى الجهاد 1899–1913م

الدكتور أحمد مراجع نجم
أستاذ مشارك بقسم التاريخ
كلية الآداب – جـــــــامعة بنغازي

المستخلص

مما لا شك فيه أن تقييم تجربة مواجهة الحركة السنوسية للاستعمار الفرنسي في تشاد، والوقوف على تحول مراكز الحركة من منابر دعوية وإصلاحية إلى حصون عسكرية؛ للوقوف في وجه الزحف الفرنسي – أمر يستحق الدراسة والتمعن، وخاصة زاوية عين كلك التي تحتل مكانًا فريدًا في النظام السنوسي في جنوب الصحراء، على عكس الزوايا الأخرى في إقليم بركو التي ظلت محدودة للغاية في تطورها. وتتمحور إشكالية هذا البحث حول سؤال رئيس ألا وهو: ما الاستراتيجية التي من أجلها أسست الزوايا السنوسية في الصحراء؟ وكيف تحولت الزوايا السنوسية من مراكز دعوية إلى قلاع عسكرية؟ أما المنهج المتبع في الدراسة فهو تجميع الأدلة الماضية، والعمل على ترتيبها وتصنيفها ونقدها، ثم عرضها في صورة حقائق موثقة، والخروج بمدلولات وقرائن تساعد على فهم التطور العسكري والاقتصادي والاجتماعي في الزوايا السنوسية. وقد توصلت الدراسة إلى أن زاوية عين كلك قد أصبحت تدريجيا مدينة حامية وسط الصحراء، وإن ظهور الشبكة المتماسكة من الإخوان السنوسيين والفاعلين المحليين، دفع بالزاوية إلى أن تسير في مسارين من جهة قوة عسكرية غازية نتيجة للتهديد الفرنسي، ومن ناحية ثانية منارة علمية تؤدي دورها الاجتماعي والثقافي والديني في بناء المجتمع المحلي.

الكلمات المفتاحية: الزوايا السنوسية، عين كلك، السنوسية في تشاد.

تمهيد :

للزوايا السنوسية دورٌ محوريٌّ في نشر الدعوة السنوسية، وتثبيت أركانها في ربوع الأراضي الليبية عبر تحالفها مع القبائل البدوية في برقة، ولم تقتصر على الساحل، بل امتد نفوذها إلى الصحراء، وما اضطلعت به من أدوار اجتماعية وسياسية حاسمة، في سياق تاريخ المنطقة قبل المرحلة الاستعمارية وفي أثنائها، فكانت الزاوية هي الركيزة الأولى في عملية الانتشار والاستقرار، غير أنها اصطدمت بالحركة الاستعمارية في جنوب

الصحراء؛ لتتحول إلى حصن منيع للذود عن الطريقة السنوسية، وعندما اشتد الخطب، حملت راية الجهاد ضد القوى الاستعمارية الفرنسية.

والحقيقة نحن لسنا بصدد مناقشة طبيعة التحالف وحقيقته بين الطريقة السنوسية والقبائل البدوية في برقة وجنوب الصحراء، التي كانت عماد نفوذها وانتشارها، ولكن هذا البحث ينطلق من فرضية أن الزوايا لم تكن – منذ تأسيسها– مجرد راعية للنشاط التجاري الصحراوي أو مؤسسة دعوية، بل إن الزوايا كانت تبنى وتؤسس على ثلاثة أسس هي: الدعوة، والتعليم، والجهاد. ومن هذا المنطلق سيرتبط تاريخ الزوايا –بشكل وثيق– بالتاريخ العسكري لحركة الجهاد في ليبيا وشمال تشاد، بحيث شكلت في هذا الإطار قوة سياسية وازنة، استطاعت أن تفرض نفسها على مسار الأحداث، تساندها قاعدة قبلية عريضة.

إذن، لماذا تأسست الزوايا؟ وكيف تبنى محمد بن على السنوسي النموذج الشريف القائم على فكرة الانتساب إلى آل البيت والزوايا لنشر طريقته في شمال إفريقيا وخلال الفترة ما بين 1840 و 1859م؟

قاد سيدي محمد بن علي السنوسي سياسة الغرس المنهجي للزوايا عبر الصحراء المصرية وبرقة وفزان وجنوب تونس والصحراء الجزائرية، وكرس جزءًا من جهوده لبناء هذه الشبكة العريضة بين الشرق والغرب. ويتداخل هذا المسار أحيانًا مع المسار التقليدي الرئيس للحجاج من المغرب الكبير إلى مكة، لكنه يمنحها انعطافًا أكثر جنوبًا، بعيدًا عن مراكز القوة الرئيسة في الساحل. (ميسوم، 2018، ص 138).

وعلى الرغم من أن مؤسس الطريقة سيدي محمد بن على السنوسي، فإنّه لم يعلن الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر صراحة أو يدعو القبائل الليبية للجهاد، وذلك يعود في اعتقادنا لسببين: الأول: أنه كان في مرحلة الإعداد ونشر الطريقة، ولم يكن الكثير من مريدي الطريقة على قدر كبير من الوعي لمفهوم الجهاد في سبيل الله، الثاني: يعود إلى ضعف الحركة، فلم تكن في تلك الفترة قادرة على مواجهة مشاكل سياسية كثيرة، ولعل أهمها الإدارة العثمانية، ولهذا كله كان دعم سيدي محمد بن على السنوسي لحركة الجهاد في الجزائر بالمتطوعين للجهاد الذين شاركوا في معارك الجهاد ضد القوات الفرنسية، والدعم المادي والمعنوي، فساعدت الحركة في دعم الأمير عبد القادر الجزائري، وثورة بن تكوك، وثورة عبد الله في جنوب الجزائر. وأخيرًا العمل على الإعداد الروحي والعسكري لأتباع الطريقة استعدادًا للغزو القادم النابولتان على حد تعبيره لقبائل العواقير عند زيارته لعائلة الكزة والشيخ بوشنيف الكزة (المنفي، 2019) .

إذ إن مؤسسة الإخوان السنوسية، الممثلة في الزوايا كانت مركزا علميًا وثقافيًا ودينيًا واقتصاديًا. ومثلت مناطق تشاد –خاصة "سلطنة ودَاي" الغنية بالمواد الخام والمنتجات الزراعية– مجالاً للاستثمار الاقتصادي والاستقطاب تجاه الجنوب، وهو حقل اهتمت به الحركة؛ من أجل البقاء، ونشر الدعوة الإسلامية، لذلك عندما اشتد ضغط السلطان العثماني عبد الحميد الثاني 1895م على الحركة السنوسية، اتجهت نحو الجنوب إلى الكفرة أولاً عام 1895م وقورو ثانيًا عام 1899م، عند سفح جبال تبيستي، بالقرب من شريك الحركة التجاري سلطنة ودَاي ومنطقة بركو الغنية بالمياه وبساتين النخيل، فوفرت لقادة الحركة مكانا آمنًا ماديًّا و معنويًّا. وفي الوقت ذاته لم تتخلَ الحركة عن مواقعها في شمال برقة، لكنها تستعد لتنظيم مناطق نفوذ جديدة في جنوب أفريقيا الوسطى؛ مما يطرح بالفعل المعالم الأولى نحو شعوب المنطقة. التوجه الدعوي وغير السياسي موجود دائماً في أدبيات الحركة، حقيقة لا تشكل حتى هذا التاريخ السنوسية دولة لكن يمتد نفوذها إلى مناطق تتجاوز بكثير الحدود العثمانية في ليبيا (عفين، 2009، ص 3).

كانت زاوية بير علالي في إقليم كانم، أول من حملة راية الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في شمال بحيرة تشاد، وعلى الرغم من الانتصار الأول للحركة في الدفاع عن الوجود السنوسي في هذا الإقليم وإيقاف الزحف الفرنسي، فإنّ التحشيد العسكري الفرنسي الكبير للثأر للهزيمة التي لحقت بهم وتفوق الأسلحة أجبر السنوسيين على الانسحاب من الزاوية بأقل الخسائر الممكنة، التي أقدم المستعمر الفرنسي على تدميرها، مما يفسح عن الوجه القبيح للاستعمار في محاربة الإسلام والمعرفة، الذي كانت تمثله زاوية بير علالي؛ منارة العلم في وسط الصحراء، إذ تهوي إليها أفئدة الطلاب، وكانت حصنًا أمينًا للتجار للاستراحة من عناء السفر.

لم تخسر الحركة السنوسية فقط زاوية بير علالي، بل شهد العام ذاته رحيل المؤسس الثاني للحركة سيدي محمد المهدي بعد صراع مع المرض ألم به، ليتولى زعامة الحركة سيدي أحمد الشريف، الذي أخذ على عاتقه حماية الحركة من الزحف الفرنسي، ورفع راية الجهاد والدفاع عن الإسلام ضد أعداء الدين، وفي خطابه لأتباع الطريقة الذي يعد إيذانًا بتحول الحركة من الدعوة إلى الجهاد.

وبانسحاب الحركة السنوسية من إقليم كانم، قام الإمام الجديد بإعادة ترتيب القوات السنوسية، وتعيين محمد السني قائدًا عاما لقواته في تشاد، والساعدي البراني شيخًا لزاوية عين كلك في إقليم بركو، التي جعل منها رأس حربة في مقاومة الاستعمار الفرنسي.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول التساؤلات الآتية: ما الاستراتيجية التي من أجلها أسست الزوايا السنوسية في الصحراء؟ وكيف تحولت الزوايا السنوسية من مراكز دعوية وجذب لطلاب العلم والرعاية التجارية إلى قلاع عسكرية وحصون منيعة لمواجه الاستعمار الفرنسي؟ وما الإجراءات السياسية والإدارية التي اتُّخِذت لتحديث زاوية عين كلك؟ وما دور مشايخ الزاوية في ريادة الزوايا في إقليم بركو؟ وما دور زاوية عين كلك في الصراع السنوسي الفرنسي في تشاد؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلب طرح جملة من الأسئلة الفرعية ألا وهي: لماذا اعتمدت الحركة السنوسية على زاوية عين كلك بوصفها قلعة في مواجهة الاستعمار الفرنسي؟ وهل نجح الشيخ عبد الله طوير في إدارة الصراع مع القوات الفرنسية عبر عسكرة زاوية عين كلك؟ وما طبيعة الدور الثقافي والاقتصادي لهذه الزاوية في ظل الصراع المسلح؟ وهل أجل تدويل الصراع في إقليم بركو خلال سيطرة العثمانيين على الزاوية في تقدم القوات الفرنسية صوب عين كلك، على اعتبارها كانت تمثل مصدر تهديد لوجودهم في كانم؟

اختيرت زاوية عين كلك أنموذجًا للدراسة؛ لكونها أول زاوية تتحول إلى حصن عسكري، وتصبح قلعة عسكرية ترفع لواء الجهاد بعد سقوط بير علالي، ولدورها في نشر العلم والدعوة في إقليم بركو في تشاد، ومحاولة النهوض باقتصاد المنطقة، ثم تحولها إلى قلعة عسكرية للدفاع عن إقليم بركو، ولأهمية القيادات العسكرية (الساعدي البراني–عبد الله طوير) التي تولت دفة الأمور زمن الحرب، وأخيرًا إمعان الفرنسيين في تدمير هذه الزاوية.

حقيقة أن زاوية عين كلك في الفترة المبكرة من تاريخ الحركة السنوسية تجسد صورة واضحة لتحول الزاوية إلى قلعة عسكرية وسياسية، تتبادل السيطرة عليها ثلاث قوى إقليمية، ومما لا شك فيه أن تقييم تجربة مواجهة الحركة السنوسية للاستعمار الفرنسي في تشاد، والدخول معه في صراع امتد لأكثر من عقد، والوقوف على تحول مراكز الحركة من منابر دعوية وإصلاحية، إلى حصون عسكرية للدفاع عن الإسلام، وحركة تقف في وجه الزحف الفرنسي، أمر يستحق الدراسة والتمعن في التحولات العسكرية والسياسية والاقتصادية التي طرأت على الحركة السنوسية في تشاد.

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في الدراسة فهو تجميع الأدلة الماضية، والعمل على ترتيبها وتصنيفها ونقدها، ثم عرضها في صورة حقائق موثقة، والخروج بمدلولات وقرائن؛ تساعد في فهم موضوع التطور العسكري والاقتصادي والاجتماعي للزوايا السنوسية.

سوف يعتمد الباحث في كتابة هذا البحث على المصادر العربية، وخاصة ما خلفه السيد أحمد الشريف السنوسي من كتب ووثائق منشورة وغير منشورة، بالإضافة إلى وثائق وزارة الخارجية والدفاع الفرنسية.

الزوايا السنوسية :

أسس السيد محمد بن علي السنوسي الزاوية الأولى في برقة 1842م بالجبل الأخضر؛ لتكون نواة للمؤسسة الدعوية التي قرر إقامتها في شمال أفريقيا، غير أنه لم يلبث طويلاً حتى قرر الانتقال بمركزه الرئيس إلى منطقة الجغبوب على الحدود المصرية؛ ليكون في منأى عن السلطات العثمانية في بنغازي وعن جواسيس الغرب.

كانت الاستراتيجية التي تبناها المؤسس في ذلك الوقت تقوم على بناء زوايا متعددة الأغراض، بمثابة مؤسسات دعوية تعليمية مستقرة، ودمجها في النسيج الاجتماعي المحلي، وكرس المؤسس جهوده خلال الفترة ما بين 1840–1859م –تاريخ وفاته– على سياسة بناء الزوايا السنوسية من الحدود المصرية شرقا مرورا ببرقة إلى صحراء فزان وجنوب تونس والصحراء الجزائرية غربا، وكان طريق الحج هدفا للسيد محمد بن علي السنوسي؛ لنشر دعوته بين قوافل الحجيج، ومن ناحية أخرى لتمنحه هذه العزلة مسافة أكثر أمنا من القوى السياسية الكبرى في شمال البلاد.

قد سمحت لنا الوثائق التي نشرها حفيد الشيخ محمد بوشنيف الكزة –أحد أبرز زعماء قبيلة العواقير وحليف الحركة السنوسية– والبحث الذي أعده زميلنا الدكتور وليد شعيب عن علاقة الحركة السنوسية بآل الكزة (المنفي، 2019)، بالاطلاع على وثائق كانت لفترة طويلة حبيسة الخزائن، نتيجة للوضع السياسي بعد 1969م، الذي جرم الحركة السنوسية وكل من يعتقد بمعتقداتها ويتعلق بها.

وهذه الوثائق شملت رسائل مهمة من السيد محمد بن على السنوسي وأحفاده من بعده، ولكن تكمن أهمية رسائل المؤسس في أنها تكشف اللثام عن استراتيجية سيدي محمد بن على السنوسي في الدعوة لطريقته، وتأسيس الزوايا، والتأسيس لمجتمع جديد يستطيع مواجهة التغييرات السياسية والعسكرية القادمة.

من خلال قراءة تلك الوثائق نلاحظ حرص الإمام محمد بن على السنوسي على إقامة شعائر الإسلام الخمسة، وعلى نبذ الخلافات القبلية، فيقول: (***والوصية لكم تقوى الله العظيم وإقامة سنة نبيه الكريم، وأن لا تهملوا أورادكم، وزيارة إخوانكم، وأن تكونوا على قلب رجل واحد، وإياكم والتباغض والتحاسد***) (المنفي، 2019، ص 7)، ولمعرفة مدى قوة تأثير هذه الحركة في القبائل البرقوية، وعمق التحالف معها، ففي ميثاق بعث به مشائخ العواقير في 10 نوفمبر 1865م للإمام محمد المهدي السنوسي للتأكيد على عمق العلاقة مع الحركة السنوسية: ***(أمرنا خليفة ونجله أستاذنا الأعظم وملاذنا المفخم بما كان يأمرنا به والده رضي الله عنه فحصل لنا الزجر والوعظ لله، فتحققنا أن أمرهم هو صلاحنا دنيا وآخرة، فرجعنا وجددنا التوبة إلى الله ورسوله من جميع ما يكره الشارع، واتفقنا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل القواعد الخمس... والسنة المحمّدية...*** (المنفي، 2019، ص ص 9–10).

وبوفاة الإمام الأكبر السيد محمد بن علي السنوسي تولى مشيخة الطريق نجله الإمام محمد المهدي 1856–1902م، الذي واجه ضغوطًا كبيرة من قبل السلطات العثمانية، التي كان يساورها شك في نشاط الحركة السنوسية حول أهدافها، وهل لديها نشاط مسلح أم لا؟ ولذلك كثر رُسل الدولة العثمانية إلى السيد المهدي، كان آخرها سنة 1895م من خلال رحلة السيد عصمت بك إلى الجغبوب بمهمة سرية، التي قرر بعدها السيد المهدي مباشرة ترك الجغبوب والرحيل إلى الكفرة، زِد على ذلك الاهتمام الأوروبي بالحركة السنوسية في محاولة للتعرف على نشاط الحركة، مما دفع الإمام المهدي للاعتقاد بأن القوى الأوروبية بعد سيطرتها على أهم العواصم الإسلامية في شمال أفريقيا وجنوب صحراء الجزائر–تونس والقاهرة وتمبكتو– فإن الدور القادم سيكون على الجغبوب، التي كان الإنجليز على حدودها، حيث زارها ثلاثة رحالة إنجليز سنة 1894م؛ بهدف مراقبة الحركة السنوسية في معقلها الرئيس (ابرايدان، 2014، ص ص 65–107).

الحركة السنوسية والتوجه جنوب الصحراء:

لا شك في أن انتقال السيد المهدي إلى الكفرة لم يكن ارتجاليا، بل إن الموقف العثماني والضغوط الأوروبية على حلفاء الحركة في جنوب الصحراء هو من عجل بالرحيل في 18 أبريل 1895م، حيث توجه السيد محمد المهدي إلى الكفرة، وجعل منها مقرًا جديدا للحركة السنوسية بديلا عن الجغبوب، وبوصوله إلى الكفرة أصبح على أبواب الصحراء، فبدأ في تنظيم أمور الحركة السنوسية في إقليم كانم وبوركو، ومنذ ذلك

التاريخ بدأت الحركة السنوسية تمهد الطريق للتغلغل داخل السكان المحليين في المنطقة الممتدة من أبشة إلى زندر Zinder et Abéché، في الوقت نفسه الذي تقدمت فيه القوات الفرنسية من الشرق والغرب لجنوب الصحراء، وقد اعتمد السيد محمد المهدي على إرسال الرسل للقبائل؛ للقبول بالحركة وبناء الزوايا في مناطقهم، موضحا لهم أهمية الزوايا ودورها الديني والاجتماعي والاقتصادي للسكان، مستهدفا بالدرجة الأولى قبائل أولاد سليمان والتبو.

ومما لا شك فيه أن **الشيخ محمد السني** هو أبرز هؤلاء الدعاة، حيث أرسل إلى كانم، وصل الشيخ إلى كانم عام 1895م، حاول جاهدا إقناع أولاد سليمان بإنشاء زاوية في بير علالي، غير أن الشيخ عبد الجليل سيف النصر رفض الخضوع للسنوسية، على الرغم من مسعى الشيخ السني في توضيح أهمية تأسيس الزاوية لقبائل أولاد سليمان؛ لما لها من دور في إرساء الأمن وإحلال السلام بين قبائل كانم، ووضح لهم شناعة الحروب والنهب والسلب بين الأخوة، إلا أنه أصر على موقفه الرافض للسنوسية حتى وفاته، أرسل السني الشيخ محمد البراني الساعدي ليكون في بير علالي؛ للتمهيد لتأسيس زاوية ويستقر مع الطوارق المهاجرين من النيجر، الذين قدر عددهم بثلاثة آلاف نسمة، غير أن الحركة السنوسية تدرك أن موافقة أولاد سليمان ضرورية للقيام بأي عمل في كانم، فبتولي الشيخ غيث سيف النصر زعامة أولاد سليمان أظهر تأييده لاستقرار الحركة السنوسية في كانم، وبناء زاوية في بير علالي (جبران، 2006، ص 60).

لم يقتصر رسل السيد محمد المهدي على كانم وأولاد سليمان، فأرسل سيدي الجويفي وسيدي محمد باسط إلى قبائل القرعان، ومملكة وداي التي لم يتوقف رسل السنوسية لها، غير أن السيد محمد المهدي خصهم هذه المرة بالشيخ محمد البي مع هدايا للسلطان يوسف الذي أرسل قافلة من الهدايا تتكون من مائتي جمل للسيد محمد المهدي. (تريو، 2017، ص 226)، ومما لا شك فيه أن كانم التي تقع إلى الغرب من هجار وكاور بالإضافة إلى القرعان وأولاد سليمان، كانت القوى الرئيسة التي استهدفتها الدبلوماسية السنوسية بالرسل ونشر الدعوة. إلا أن قبول القبائل البدوية الصحراوية زاوية في كفرة المجابرة في جالو، أعطى الحركة زخمًا كبيرًا في الصحراء، وكلاهما ضالع بشكل كبير في تجارة القوافل، سواء أكان دليلًا أم تاجرًا أم كانوا مجموعات تقوم بالسلب والنهب، إذ ساعد هذا الحدث بشكل كبير في تغلغل الحركة السنوسية ودعاتها في الصحراء.

استطاعت حركة سيدي المهدي تهدئة القبائل البدوية الصحراوية واستخدامها وفقا لاحتياجاتها بوصفها قوة حماية، خاصة بعد هجرة الإمام إلى الكفرة سنة 1895م، أو وسيلة للوصول إلى عمق الصحراء، وبفضلهم هيمنت الحركة السنوسية على الجزء الشمالي من الصحراء وعلى محور طريق أبشة–الكفرة –بنغازي. (Ciammichella, 1987, p. 92)

فأصبحت الحركة السنوسية وزواياها في الجزء الشمالي من الصحراء حامية للتجارة عبر الصحراء، إذ منحت الزوايا حمايتها ورعايتها للاقتصاديين الرئيسيين كوسيط وحكم بين المتخاصمين، في مقابل هدايا كانت تمنح للزوايا. وعلى الرغم من بعض الصعاب التي تعرض لها طريق وداي أبشة الكفرة بنغازي، فإنّه كان الأكثر سرعة واستعمالا من قبل التجارة.

غير أن تحرك الدولة العثمانية ورسلها إلى الكفرة؛ للتحري عن طبيعة نشاط الحركة في زاوية التاج، وما رافق ذلك من محاولة الأجانب الوصول إلى الكفرة، كل ذلك أقلق سيدي المهدي، الذي أشار إليه بكل وضوح في رسالة بعث بها إلى شقيقه محمد الشريف يتحدث فيها عن الصادق المؤيد يقول: (وشدة عجلة هذا الإنسان المشككة، يجب اغتنام الفرصة قبل فواتها بالارتحال إلى السودان، فنقطع بهم حيل الوصول جماعات وفرادى، من يوم سفره ونحن نجهز في الكراميد وبعد ذلك يتوجه السطاوية ليهيئوا محلا للنزول). (الدجاني، 1967، ص 225)

ولذلك لم يدم المقام بالسيد محمد المهدي طويلا في الكفرة، إذْ قرر في 20 أكتوبر سنة 1899م الانتقال إلى زاوية قرو التي سبق وأن كلف الشيخ محمد بو عقيلة الزوي رسول المهدي لدى التبو بتأسيسها في شهر أغسطس 1899م، فقرو تقع في جبال تبيستي 700 كم جنوب الكفرة، وهي وسط بين إقليمي تبيستي وبركو، وبعيدة عن طرق القوافل التجارية، كما أن سكان هذه المنطقة هم التبو، أنصار السنوسية وحلفاؤهم، خاصة زعيمهم السلطان إبراهيم Chai Bogarmi الذي كان من أشد أنصار السنوسية(Triaud, 1995, p. 498)

إن نزول المهدي في هذا الموقع قد أحدث مسألتين جديدتين: الأولى: أن السلطات الفرنسية التي كانت تراقب تحركات المهدي بحذر اعتبرت هذه الخطوة تحديًا متعمدًا لما كانت تخطط له من السيطرة على إقليم بركو وتبيستي، وهو ما اتُّفِق عليه مع بريطانيا في 21 مارس 1899م، والقضية الثانية: أن السيطرة الفعلية للحركة السنوسية على إقليم كانم وبركو وانيدي وتبيستي، وهي المناطق الواقعة فيما بين بحيرة تشاد غربًا وبحر

الغزال ودارفور شرقًا، تهديد مباشر لمخططها الاستعماري في حوض بحيرة تشاد، ذلك عبر نشر رسل الحركة في هذه الأقاليم وتأسيس الزوايا الجديدة التي كان على رأسها وأهمها هي زاوية بير علالي، التي تعدُّ مركزًا متقدما عند باب السودان الأوسط، وأنها حلقة وصل بين ممالك بحيرة تشاد. إذن فقد كانت الزاوية تمثل وكالة معلومات جيدة عن حركة التجارة، وأخبار وسط أفريقيا. (نجم، 2016، ص 5). نجحت الحركة السنوسية في مخاطبة القوى المحلية في كانم وكسب ودها، لاسيما أولاد سليمان، خاصة بعد نجاح البراني الساعدي في إصلاح ذات البين بين زعيمي أولاد سليمان الشيخ غيث والشيخ شرف الدين، والحضور إلى قرو، وعقد الصلح تحت رعاية السيد محمد المهدي في يوليو 1900م (Triaud, 1987, p. 209).

بعد هذا الصلح استطاع الساعدي البراني بناء زاوية بير علالي خلال الفترة بين مارس–يوليو 1900م، غير أن هذا التأسيس تزامن مع وصول الفرنسيين إلى المنطقة ذاتها، وقد حدد السيد محمد المهدي السنوسي في رسالة بعث بها إلى السيد محمد البراني بتاريخ 20 يوليو 1900م الاستراتيجية التي سوف تبنى عليها السنوسية سياستها في إقليم كانم، وتتمثل هذه السياسة في نقطتين رئيستين هما:

أولا: الحفاظ على الصلح بين زعماء قبيلة أولاد سليمان، وأي خلاف بين الطرفين تكون السنوسية وزاوية بير علالي هي الحكم والفيصل فيه.

ثانيا: الاهتمام بالطوارق الفارين من بطش الفرنسيين في النيجر، ومعاملتهم معاملة حسنة.

إن الهدف من هذه السياسة تكوين سياج دفاعي من القوى المحلية المتمثلة في أولاد سليمان والطوارق؛ للدفاع عن زاوية بير علالي وإقليم كانم، خاصة وأن الحركة السنوسية لم تكن تملك جيشًا نظاميًّا خاصًّا بها. (Triaud, 1987, p. 91)

وقبل الحديث عن عسكرة الزوايا والمواجهة مع القوات الفرنسية التي فرضها الزحف الفرنسي على مناطق نفوذ السنوسية، ننتقل للحديث عن محور زاوية عين كلكك.

زاوية عين كلك 1899–1913م:

بنزول سيدي المهدي في زاوية قرو في أكتوبر 1899م، أرسل رسله لتأسيس زوايا في المناطق التي قبلت الدخول تحت سلطة الحركة السنوسية، أو السلطة الدينية للحركة. وهذه المناطق هي: زاوية بير علالي سبق الحديث عنها، وعين كلك، ون باديدي، وجنق الكبير، وجنق الصغير. (جبران، 2006، ص 60).

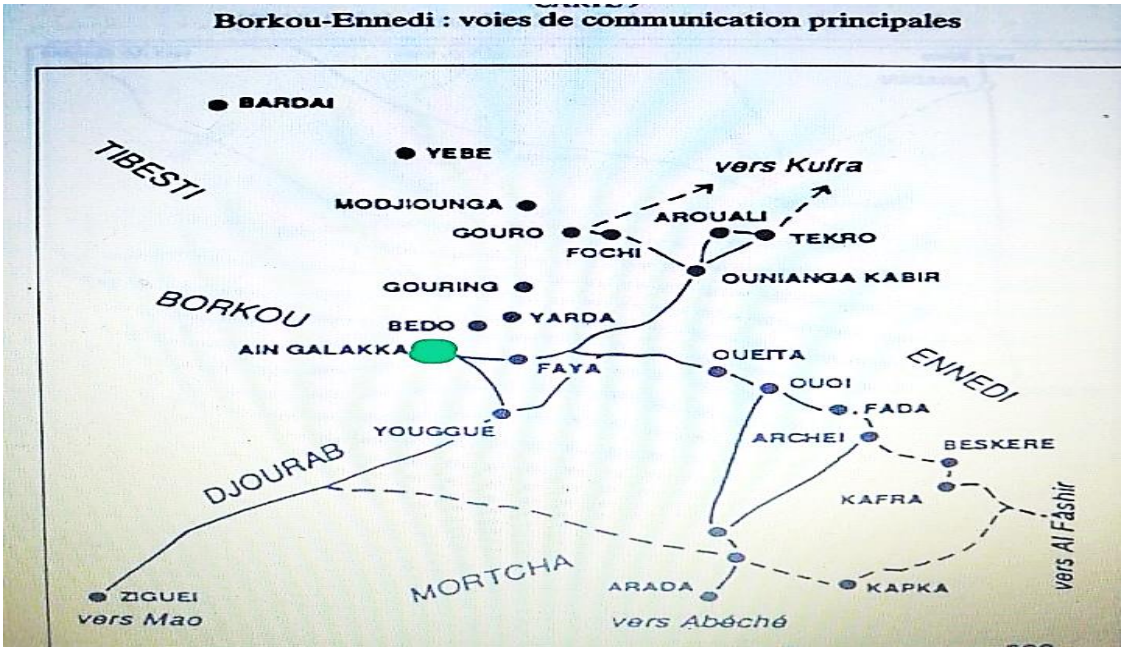
ولم تذكر المصادر المحلية أو الأجنبية تأريخ تأسيس زاوية عين كلك بوضوح، وذلك ربما لعدم أهميتها في بداية القرن إذا ما قورنت بزاوية قرو ومؤسسها محمد بو عقيلة الزوي، بناءً على تعليمات سيدي محمد المهدي، أو زاوية بير علالي التي هي الأخرى لأهميتها الاستراتيجية في طرق القوافل التجارية وحلقة وصل مع ممالك بحيرة تشاد وإقليم كانم، وهي الأخرى كلف السيد البراني الساعدي بتأسيسها، وما صاحب ذلك من خلاف مع السلطات المحلية من جهة ومن الصراع مع الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى.

ويمكن القول إن عين كلك ما هي إلا واحة تتبع قرية كرديمي، على الطريق التجاري الرابط بين يونجي Youggue وزقي Ziguei جنوبا وأوجنقة الكبير وتكرو Tekro شمالا في اتجاه الكفرة، فالمتتبع لظهور الزوايا السنوسية في شمال تشاد سوف يلاحظ أن كل ما قبل زاوية قرو هو عبارة عن رسل للسنوسية يجوبون المنطقة، ولم تظهر السنوسية بشكل قوي ومؤسسي إلا بعد انتقال سيدي المهدي إلى قرو 1899م.

ومن المؤكد أن رسل السنوسية كانوا في المنطقة قبل ذلك التاريخ، حيث يذكر محمد مسعود جبران في ترجمته للسيد محمد السني، بأن تكليفه بالذهاب إلى كانم كان سنة 1895م، وكلف في الوقت ذاته بالإشراف على عدد من الزوايا في إقليم بركو، ونسب إليه جبران بناء زاوية عين كلك، غير أن ديجان يذكر أن محمد السني في زيارته الثانية للسيد المهدي في قرو التي غادرها في أغسطس 1899م، في اتجاه سلطنة وداي –أنه بعد استقرار سيدي محمد المهدي في قرو أعطى الأوامر بتأسيس عدد من الزوايا في إقليم بركو، وكانت من بينهن زاوية عين كلك، ومن ضمن المناطق التي زارها السيد محمد السني بعد مغادرة قرو قرية (كرديمي) التي تتبعها واحة كلك الكبير، واتفق مع السكان على تأسيس زاوية ووقف الواحة ونبع المياه للزاوية (جبران، 2006، ص ص 50-60) خلال الجولة التي قام بها السيد أحمد الشريف في إقليم بركو في مايو– يونيو 1900م بصحبة الشيخ محمد بسكري، حيث زار زاوية عين كلك، وأعطى دروسًا للطلاب في الزاوية. (Djian, 1996, p. 91)

تقع عين كلك –التي أخذت اسمها من كلك الكبير وهي نبع مياه في لغة القرعان، فأطلق السنوسيون عليها تلك التسمية (عين كلك) وعرفت بها– في إقليم بركو الواقع عند خط العرض 18 في شمال تشاد، على مسافة 100 كيلومتر جنوب غرب مدينة فايا لا رجو، وتضم مجموعة من الواحات هي: Yenين، وكرديمي Kirdimi، ونقورمة Ngour، ونغ ورديجر، وتشتهر هذه المنطقة بكثرة النخيل، حتى إن إحدى الدراسات قدرت

النخيل في إقليم بركو بمليون وثلاثمائة ألف نخلة تقريبًا، وذلك لقرب المياه الجوفية من السطح بمسافة مترين ونصف تقريبًا. (Baroin Catherine, 1993, tome 63, p. 5)



خريطة توضح موقع زاوية عين كلك في إقليم بركو في تشاد واللون الأخضر يشير إلى موقع الزاوية. (Triaud, 1995, p. 1075)

بناء على ما تقدم فإن تأسيس الزاوية كان خلال عام 1899م، بتوجيه من سيدي محمد المهدي، وبإشراف من الشيخ محمد السني، أما عن أسباب اختيار الزاوية فهي بكل تأكيد تعود أولاً: إلى الموقع الجغرافي للواحة على الطرق التجارية للقوافل، وثانيا: لوجود نبع من المياه، ومظاهر الاستقرار في واحة النخيل، هذا هو ما سوف ينعكس على تطورها إلى مدينة صغيرة فيما بعد، كما أن الغاية السامية من تأسيس الزاوية هي نشر العلم والمعرفة وتعاليم الإسلام بين القبائل المحلية.

أما بخصوص السكان فإن منطقة إقليم بركو، هي بلد التبو أو تيدا– دازا. وتحتل Téda بشكل أساسي الجزء الشمالي الأقصى من البلاد، وهو Tibesti massif بشكل خاص، بينما Borkou في بلد Daza. ودازا التي تتميز عن تيدا أكثر. فرق اللهجة، وتسمى محليا Goranes قورعان . وفي Borkouf بوركو، مجموعتان من الدازا، Kokorda في الغرب وAnakazza نكازا في الشرق، وهما "مالكا" البلاد التقليديين. لكن كلاهما، مربي أبل، غائبان في معظم الأحيان عن بساتين النخيل، حيث لا يعودان إلا لحصد التمور. خارج هذه الفترة، يتألف معظم سكان Borkou من Kamaya، والمزارعون المقيمون في السابق كانوا خاضعين للدازا. هذا ويشير

أحد التقارير عن عين كلك أعده الكابتن كاريك Capitaine Carrique، (تحت عنوان المدينة المنسية) ونشر في مجلة الجمعية الإفريقية سنة (1935م) يقدم لنا كاريك وصفا للزاوية وسكانها، وأيضًا لطبيعة بقايا الزاوية بعد تدميرها من قبل الجنرال لارجو، والأعمال التي قام السنوسيون بها، وأشار التقرير المذكور أعلاه إلى أن سنة 1935م كان يوجد فيها –بالإضافة إلى سكانها الأصليين الذين سبق ذكرهم– عشرون عائلة ليبية، بنت بيوتها على أنقاض زاوية عين كلك بعد تدميرها في عام 1913م. (Carrique, 1935, p. 86) وتأكيدًا على ذلك أذكر هنا في مقابلة مع عبد الله أحمد حفيد المجاهد عبد الله طوير،الشيخ الثاني للزاوية بعد البراني الساعدي، أن والده مواليد زاوية عين كلك، وأن أسرته ظلت في عين كلك بعد الغزو الفرنسي فترة ثم انتقلت إلى فايا لارجو، وأن والده أحمد أصبح نائبًا عن المدينة في أول انتخابات في مدينة لارجو، وأن جده عبد الله طوير كان يملك معظم بساتين عين كلك، التي هي في الغالب وقف للزاوية. (طوير ع.، 2020).

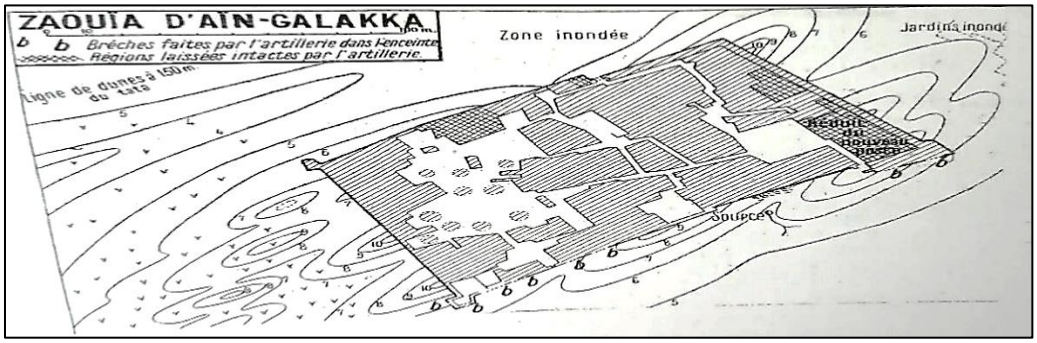
لم تكن زاوية عين كلك مجرد بناية واحدة، فقد ذكر (Carrique, 1935, p. 85) أن عدد العمائر السنوسية في عين كلك بلغ عشرين بناية خاصة بالإخوان، بالإضافة إلى الزاوية الرئيسة، التي كانت زاوية لتعليم القرآن منذ بداية القرن، تضم جامعًا صغيرًا، بالإضافة إلى مقر الشيخ والطلاب، ناهيك عن مساعد شيخ الزاوية.

منذ أن عين البراني الساعدي شيخا لزاوية عين كلك، أصبحت هدفا للقوات الفرنسية التي كانت تتحرك جنوب الزاوية، حتى تعرضت للغزو سنة 1907م، حيث تمكن الفرنسيون من دخولها بعد يوم من المقاومة الباسلة؛ وذلك لعدم وجود جدار يسد هجوم المهاجمين، ولضعف نظام الحماية، ومع ذلك استشهد قادة الزاوية دفاعا عنها. ونتيجة لهذه الهزيمة التي تعرضت لها الزاوية وما تعرضت له من دمار، أخذ السنوسيون التفكير جديا في تغيير النمط العمراني السائد للزوايا من مجرد مكان للعبادة واستراحة المسافرين، إلى حصن عسكري يسهل الدفاع عنه في ظل استهداف القوات الفرنسية لها، فهذه ثاني زاوية تُدمَّر بعد بير علالي. (Triaud, 1995, p. 677)

وبناء على ما سبق فإن المصادر تشير إلى أن شيخ الزاوية الجديد سيدي عبد الله طوير بدأ العمل على بناء زاوية جديدة بعد انسحاب الفرنسيين منها، ولذلك –حسب نصيحة الخبراء الذين حضروا معه– نقل مكان الزاوية الحالي من السهل حيث يصعب الدفاع عنها إلى تلة مرتفعة قد حول من موقعها الحالي في السهل إلى قلعة عسكرية، على ربوة مرتفعة؛ لكي يستطيع الدفاع عنها وحمايتها في ظل حالة الصراع مع فرنسا، فقام

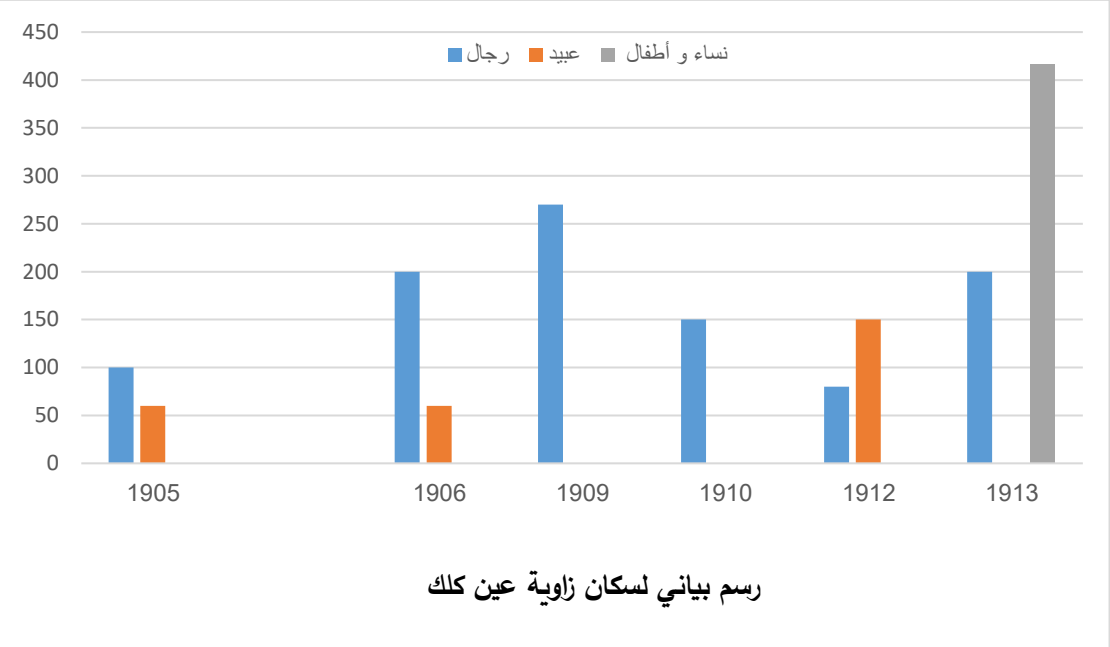
ببناء سور كامل حول الزاوية، يضم برجي مراقبة، بالإضافة إلى مساكن الإخوان ومسجد، قدر الكابتن كاريك Capitaine Carrique ارتفاع هذا السور المحيط بالزاوية في بعض المواضع بين ثلاثة إلى أربعة أمتار، وعرضه 80سم، وطوله تقريبا 250م بالإضافة إلى وجود فتحات في أعلى السور على شكل مستطيل تستخدم للرماية، و يشير التقرير إلى أن السنوسيين استخدموا في بناء هذا السور الحجر الجيري الأبيض والإسمنت، حتى أصبحت الزاوية حصنًا أكثر من كونها زاوية دينية، ولهذا نجحت في إفشال الهجوم الفرنسي 1908م، (Carrique, 1935, p. 87) وهذا يفسر –فيما بعد– سر تمسك قائد الحامية التركية رفيق باشا التي جاءت إلى بركو على التمسك بالسيطرة على زاوية عين كلك على الرغم من اعتراض الشيخ عبد الله طوير واحتجاجه.

الشكل المرفق يوضح خريطة القلعة التي رسمت من قبل حملة لارجو، ربما لإعداد خطة للهجوم على المحمية. يشير الكابتن كارليك في تقريره عن واحة عين كلك إلى قلعة عين كلك ودقة البناء والمواد المستخدمة، ويشير إلى أن هذا العمل جرى وفق بناء هندسي دقيق، وذلك من خلال قياس الزوايا والتصميم الهندسي للمحمية، الذي هو غريب عن هذه البيئة، ووضح من خلال شهود عيان معاصرين لبناء هذه المحمية أن من قام بالبناء والتخطيط هم من الإخوان، وبالبحث والتنقيب في المصادر، فإن تقرير الكبيتان سيلي Cellier، الذي قاد الهجوم ضد عين كلك في نوفمبر 1908م، يعزو فشله إلى قوة التحصين وموقع القلعة الجديدة، التي لم يستطع اختراقها، ويذكر أن من قام ببناء هذه التحصينات والمحمية هو خبير التحصين الشيخ أبو فراس، الذي كان في السابق أحد جنود الجيش المصري في السودان، ربما يكون من ضمن الجنود الذين التحقوا برابح الزبير، ثم انتقل للعمل في التحصينات في طرابلس قبل أن يلتحق بالحركة السنوسية في تشاد، وقد استعان السنوسيون به؛ لتطوير تحصيناتهم العسكرية بعد هزيمة 1907م، واستشهاد شيخ الزاوية سيدي البراني (Triaud, 1995, p. 681 not 54)



خريطة توضح زاوية عين كلك سنة 1913 (Largeau, 2001, p. 288)

وبخصوص سكان الزاوية تشير المصادر إلى تزايد عدد السكان خاصة من الإخوان وحلفائهم بعد استلام الشيخ عبد الله طوير للزاوية سنة 1907، وحالة الاستقرار التي شهدتها الزاوية، وهذا الرسم البياني يوضح ذلك.



رسم بياني لسكان زاوية عين كلك

إن المعلومات الإحصائية غير كاملة، ولكن تعطي مؤشرًا على التطور الحاصل في القوى العمالية في زاوية عين كلك، مما يعكس تنامي الطلب على العمالة، خاصة المهنية منها، ويوضح أهمية زاوية عين كلك من الناحية الاقتصادية، ويدل من ناحية ثانية على انحسار النفوذ السنوسي في إقليم بركو. (Djian, 1996, pp. 118-120) وبخصوص تصنيف الرجال، فيقصد به هنا العرب والمقاتلين، أما العبيد فيعني بهم السكان المحليين (Triaud, 1987, p. 124)

كما نلاحظ من خلال هذا الجدول أن القوى العاملة في زاوية عين كلك بلغت سنة 1913م أكثر من 600 فرد، وهذا يعكس الاستقرار الاقتصادي والأمني للمحمية السنوسية، وكذلك القدرة الإنتاجية للزاوية. هذا وقدر جان لو تريو عدد السنوسيين وأنصارهم في خمس زوايا في إقليم بركو مجتمعة بمائة وأربعين رجلاً، خلال الفترة 1909–1910م. (Triaud, 1995, p. 657).

يتألف سكان الزاوية من عدة مجموعات متميزة من السكان، وفق تسلسل هرمي واضح، ففي أعلى السلم الإخوان: شيخ الزاوية، والمعلمون، أو فئة معينة من الإخوان تعرف بالمرابطين، الفئة الثانية: تتشكل من

المقاتلين المرتبطين بالدفاع عن الزاوية، وبشكل بارز من قبيلة زوية، ويجب هنا التذكير أن أبرز شيوخ الزاوية من قبيلة زوية: البراني الساعدي، وعبد الله الفضيل طوير، جاء أغلبهم من الكفرة للدفاع عن الزاوية، ودعموا بالطوارق أو الذين فرو من الدور بعد سقوط صالح بو كريم في الأسر، وفي قاعدة الهرم يأتي العبيد والسكان المحليين، وهؤلاء بالإضافة إلى أعمال الزراعة أوكلت إليهم مهام دفاعية، الذين تجاوزوا حسب دجيان 200 مقاتل في عام 1909م.(Triaud, 1995, p. 658)

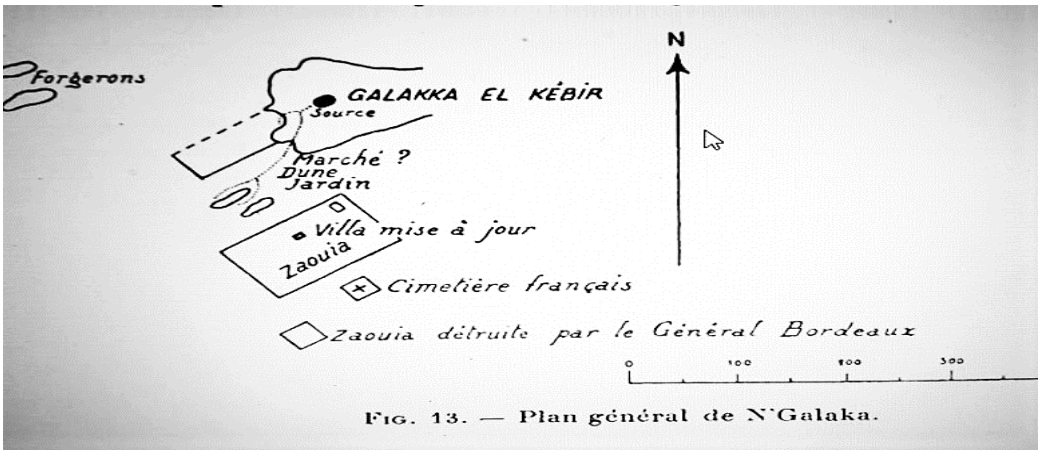
وبخصوص هذه الطبقة من العبيد تشير المصادر إلى أن هؤلاء العبيد حظوا بمكانة جيدة في نظام الزاوية، فكانوا يحصلون على ملابس مرتين في السنة، وعلى الطعام، وعشر فرنكات للفرد عن العمليات العسكرية التي يشاركون فيها جنودًا أو في العمل في القوافل التجارية، وعند زواجهم تدفع الزاوية المهر، وشاة للفاتحة، وثوبان واحد للزوج والآخر للزوجة، وفي أيام الجمعة كان لديهم وقت فراغ للاهتمام بشؤونهم الشخصية. بينما المرابطون عكس الجنود السود، فكان يحق لهم الحصول على نصيب من الغنيمة في عمليات الغزو. (Djian, 1996, p. 119)

1) <u>دور الزاوية الديني والثقافي والاقتصادي:</u>

مما لا شك فيه أن زاوية عين كلك تقع في طريق القوافل التجارية القادمة من بير علالي في طريقها إلى قرو والكفرة، أو بالعكس، غير أن الأهمية الزراعية للزاوية والمنطقة كانت أكثر وضوحا، فموضوع الدور الزراعي للإخوان في بوركو مثير للاهتمام.

عمل جميع الإخوان في الزاوية –حتى المكلفين بالحراسة– في الزراعة، كما بذل الآخرون جهودا مضنية للاهتمام بزراعة النخيل وتطويره، وتثقيف السكان المحليين بأهميته، وكيفية العناية بالبستنة، وزراعة الخضروات حول الزاوية مثل الطماطم والبصل والثوم، غير أن زراعة القمح والشعير والدخن "القصب" والتبغ ظلت الهدف الرئيس للتنمية. لذلك انتشرت زراعة القمح والشعير إلى جانب النخيل في جميع أنحاء الواحة، وكانت منتجات هذه المحاصيل تدفع عنها الزكاة للزاوية التي تقوم بدورها بتوزيعها على الفقراء من السكان. ومن ضمن الجهود التي بذلها السنوسيون: تطوير شبكة الري والعيون، فقد أشار تقرير الكابتن كاريك –سابق الذكر– إلى دورهم في هذا المضمار، على الرغم من تدمير جلها بعد الغزو الفرنسي وتدمير الزاوية، فذكر أن الإخوان قاموا بتطوير ثلاثة عيون للمياه، على النحو الآتي: أقدم هذا القنوات يقع شمال الزاوية، ويعرف عند

السكان المحليين "بكلك الكبير"، وهو مسدود بكثبان رملية حسب وصف (تقرير الكابتن كاريك 1935)، أما الثاني: فيقع جنوب الزاوية، حيث عمل السنوسيون على تطويره وتعميق مجراه، وهو يعمل وتجري من خلاله المياه ويروي الحدائق حتى سنة 1935م، والثالث: يقع في الشرق من الزاوية، وعلى الرغم من زحف الرمال عليه فإنّه ما زال حسب التقرير يغذي الجزء الشرقي من الزاوية بالماء. (Carrique, 1935, pp. 85-95)



خريطة عامة لعين كلك سنة 1935م توضح موقع عين كلك الكبير والسوق وموقع الزاوية ومكان عمل الحدادين

(Carrique, 1935, p. 86)

أخذ السنوسيون في إعادة توجيه احتياجاتهم الخاصة من إنتاج إقليم بوركو عامة وعين كلك خاصة، وكان الهدف هو جعل بوركو صومعة للحبوب؛ لتزويدهم بحاجتهم من القمح والمنتجات الزراعية الأخرى، في ظل ما تعانيه الزاوية الرئيسة في برقو من نقص في المحاصيل الزراعية، وتشير المصادر إلى أن حصة الزاوية من زكاة التمور تذهب إلى قرو، أما القمح (القمح الصلب) فإن الجزء الأكبر منه ينقل إلى الكفرة. (Carrique, 1935, p. 87)

ومن ضمن الأعمال التي قام السنوسيون بها في عين كلك –لتطوير المنطقة من الناحية الاقتصادية: إقامة سوق، حيث تأتي إليه القبائل الرحل والسكان المحليون؛ لبيع منتجاتهم، ويجدون فيه ما يحتاجون إليه، وهو عبارة عن مجموعة من المحلات يبلغ طولها مائة متر تقريبا، تقع بالقرب من عين كلك الكبير. ومن المشروعات التي طورها السنوسيون في عين كلك فرن للحدادين، الذي حدد موقعه الكابتن كاريك بأنه ليس بعيدًا عن السوق، ويقع شمال شرق عين كلك الكبير. إنَّ انتشار هذه المهنة التي تعتبر ضمن صناعة التعدين مما لا شك فيه أنها غريبة عن القبائل الرحل في هذه المنطقة، وتندرج ضمن الصناعات التي اهتم بها إخوان

السنوسية، بل صنعوا لها فرنًا خاصًّا لصهر الحديد وتطويعه. (Carrique, 1935, pp. 87-88)، وقد أورد ديجان في كتابه تقريرًا عن الزكاة التي كانت ترسل إلى قرو والكفرة، وعن المنتجات الزراعية لزاوية عين كلك خلال الفترة من 1906–1909م، و هي كالآتي:

نوع المنتج	الكمية حمولة جملة (150 كيلو)
الدخن (القصب)	120
القمح	120
التمر	300–200
الملح	دون ذكر الكمية

(Djian, 1996, p. 118)

هذه الكمية: من التمر 200 حمولة جمل، يعني أكثر 3000 كيلو تمر، وتمثل عشر الإنتاج باعتبار أنها زكاة، فيمكن معها تقدير كمية المنتج من التمر في عين كلك بثلاثين طنًّا، بافتراض أن هذا الإجمالي كان مستقرًا (وهو أمر إشكالي) وجزء مهم في تطوير هذا الإنتاج يعود للمرابطين في الزاوية والنساء وإخوان السنوسية الذين عملوا على تطويره، والأمر ذاته بالنسبة للقمح والقصب، فقد أوضحت التقارير أن عين كلك تنتج واحدًا وعشرين طنًّا من القمح، وهو رقم كبير مقارنة بإنتاج إقليم بركو في سنة 1936م من القمح، الذي كان 100 طن. (Triaud, 1995, pp. 666-667)

هذا على الصعيد الاقتصادي، أما في الجانب الديني والتعليمي فقد كان من ضمن برامج الطريقة – أيضًا– هداية المجتمعات الوثنية السوداء، وهكذا دعت الزوايا السنوسية في تشاد بير علالي وعين كلك إلى الإسلام، فعملت زاوية بير علالي على نشر الإسلام في حوض بحيرة تشاد، وقد هنأ أحمد الريفي البراني على هدايته للبودوما سكان جزر تشاد الذين صاروا يصومون ويزكون ويرسلون الزكاة، وفي الرسالة ذاتها يوصي الشيخ أحمد الريفي سيدي البراني بتخصيص مكان في الزاوية للشيخ إبراهيم الغربي للقراءة والتعليم. فكان تعليم القرآن المرتبط بوجود الفقهاء المهمة الرئيسة للزوايا.

وفي رسالة بعث بها السيد محمد المهدي إلى الشيخ البراني –وهي توصيات لعموم الزوايا تحدد المنهج التربوي للزوايا– يقول: (وعلموا أولادهم القرآن، ومكارم الأخلاق، وأكل الحلال، والنأي عن نهب الأموال، واسترقاق النساء والأطفال) (Triaud, 1987, p. 95)

يلاحظ في هذه التعليمات التركيز على الأخلاق والتهذيب إلى جانب العبودية، التي تستهدف على الأرجح خطف النساء والأطفال، فيهدف برنامج السيد محمد الإصلاحي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمعات رحل، فمثلا أعد برنامجًا قائمًا على تعليم القرآن للحرس الطوارق الذي اقترحه بسكري لحراسة زاوية قرو. لم تقتصر دعوة الحركة السنوسية للإسلام في محيط هذه الزوايا، فهذا أحمد الريفي مستشار سيدي محمد المهدي يشكر البراني الساعدي على هدايته لقبائل البودوما (سكان بحيرة تشاد) الذين صاروا –حسب وصفه– (يصلون ويصومون ويزكون) (Triaud, 1987, p. 110)

وتأكيدا على دور زاوية عين كلك التعليمي والثقافي، قام السيد أحمد الشريف بزيارة إلى زوايا إقليم بركو رفقة السيد محمد بسكري سنة 1900م، وقام بإعطاء دروس دينية وفقهية لطلاب زاوية عين كلك. (Djian, 1996, p. 91)

وفي السياق ذاته قرر الشيخ عبد الله طوير تنظيم دورة في زاوية عين كلك للإخوان، خاصة المقاتلين، لتعليم تعاليم الدين الإسلامي، ودورات في العلوم الشرعية والقانون وقواعد اللغة العربية والعلوم. ودليل آخر على أهمية الزاوية هي المكتبة الضخمة التي دُمِّرت وأُحرِقت من قبل الفرنسيين سنة 1907م، والتي قدرها أحمد الشريف في مفاوضاته مع فرنسا بـ 700 مجلد. (TRIAUD, 1991, p. 1161) وهذا يؤكد أن الغاية التي أسست من أجلها الزاوية كانت تعمل على خلق مجتمع متحضر مستقر عبر نشر التعليم والدين الإسلامي الحنيف، غير أنه تجدر الإشارة إلى أنها لم تنافس السلطات المحلية في السلطة أو تحاول أن تكون بديلة عنها.

2) الدور العسكري لزاوية عين كلك في مواجهة الاستعمار الفرنسي 1906–1913م:

إن البحث عن دور زاوية عين كلك العسكري في مواجهة الاستعمار الفرنسي بشكل حقيقي لا يستقيم دون الحديث عن دور زاوية بير علالي وشيخها البراني الساعدي، وكيفية إدارة الحركة السنوسية الصراع مع الاستعمار الفرنسي، ولذلك أجد نفسي ملزمًا بالتنبيه على بداية الحرب الفرنسية السنوسية 1901–1913م.

أدرك المسؤولون السنوسيون في قرو –منذ وقت مبكر– خطورة الأعمال العسكرية التي تقوم بها فرنسا ضد مملكة رابح، والتقدم صوب كانم، ولذلك أصدرت أو أمرها إلى شيخ زاوية بير علالي برصد التحركات الفرنسية من مواقع متقدمة خلف خطوط العدو، بل حدد له الجهة التي يعتمد عليها في تنفيذ ذلك وهم الطوارق. (الحنديري، 1998، ص ص 48–49)

واعتمدت الخطة السنوسية أولا: على إعداد استراتيجية دفاعية حذرة، على أن تكون زاوية بير علالي الخط الدفاعي الأول عن كانم وإقليم بركو، كما حاولت الحركة السنوسية عدم تعريض قوى الطريقة لمواجهة غير متكافئة، وذلك بمراقبة العدو والحذر منه، إذ حذر السيد بسكري الشيخ البراني من التهاون في عملية المراقبة فقال: " راقبوه بينه وبين الأعداء أنت متساهل بهذا الأمر" (Triaud, 1987, pp. 123-124)، ثانيا: الانتقال من مرحلة المراقبة والرصد إلى حماية الزوايا، وذلك عبر تزويدها بالسلاح، إذ تشير إحدى الرسائل بتاريخ 5 أبريل 1901م إلى وصول 50 بندقية و523 رصاصة إلى زاوية بير علالي وخبير لإصلاح الأسلحة، وفي رسالة أخرى بتاريخ 11 أكتوبر تفيد بوصول كيس من الرصاص إلى الزاوية نفسها.

إلا أن تلك الاستعدادات السنوسية لم تمنع القوات الفرنسية من التقدم صوب كانم وبير علالي. وكان القائد العام لتلك القوات المقدم جورج ديستناف –Destenave George، قد عين في شهر سبتمبر 1900م قائدًا عاما للقوات الفرنسية، ومفوضًا للحكومة في تشاد بدلاً من إميل جانتي Emile Gentil، وكان ديستناف من أنصار الإدارة العسكرية الصارمة، والعمل العسكري القوي ضد معارضي الحكم الفرنسي، بينما كان سلفه يفضل الاختراق السلمي للمجتمعات المحلية الأفريقية، وعدم التسرع في استخدام القوة (Triaud, 1987, pp. 22-23).

وفي نهاية عام 1901م يبدو أن قرار مهاجمة بير علالي قد اتخذ، وأعطيت الأوامر للنقيب ميوه Millot، بالتقدم نحو كانم، ومباغتة زاوية بير علالي والسيطرة عليها، خاصة في ظل غياب البراني الساعدي في قرو، وتكونت القوة الفرنسية المهاجمة من 200 مقاتل من السنغاليين، وطليعة من 25 فارسًا جزائريًّا، بالإضافة إلى الضباط الفرنسيين، وبدأ الهجوم من ناحية جنوب شرق الزاوية، هاجم الطوارق القوة الفرنسية وفق تكتيك جديد لم يعرفه الفرنسيون من قبل عن شعوب جنوب الصحراء، فيصف لنا الملازم بوبار Poupard ذلك: (لم نكن نفكر إلا في صد هجوم الطوارق الذين تخلوا بسبب تدريب السنوسيين لهم عن تكتيكهم المعتاد. فاقتصر استخدامهم على البندقية، وكانوا يتقدمون زحفا، ولم يكونوا يطلقون سوى طلقات مؤكدة الإصابة) (Triaud, 1987, p. 27)

بالإضافة إلى استخدام الخنادق التي باغتت المهاجمين، ونظرًا لشدة المقاومة وضراوتها والخسائر التي تكبدها الفرنسيون اضطروا للانسحاب؛ مما تسبب في إرباك تلك القوات وقتل النقيب ميوه Milliot قائد الحملة. اختلفت المصادر الفرنسية في حجم الخسائر في الجند، فقد قدرتهم بعض المصادر بـ6 قتلى و34

جريحًا، فيما تشير أخرى إلى 15 قتيلًا، وعدد من الجرحى، وكان من بينهم قائد الحملة ميوه والطبيب المرافق للحملة، ومن الجانب السنوسي ستة من قادة الإخوان، من بينهم سيدي سليمان والشيخ عبد الرازق المرتضي قاضي الزاوية، والشيخ غيث شيخ أولاد سليمان، ومن الطوارق تقريبًا 200 رجل قتلوا جميعًا في هذه المعركة. (Triaud, 1995, p. 615)

فوجئت القوات الفرنسية بقوة المقاومة وشدتها في معركة بير علالي الأولى، وخوفا من هجوم مباغت للقوات السنوسية وحلفائها، قرر العقيد ديستناف Destenave الانسحاب نحو فورلامي حيث قواته الرئيسة، وترك القيادة للرائد تيتار Tétart في قرية تريفر Truffet، الذي قام بإعادة ترتيب قواعده وقواته؛ للزحف مرة أخرى على زاوية بير علالي، وقرر في هذه المرة الاستعانة بسلاح المدفعية؛ لحسم المعركة من بعيد، عبر دك أسوار الزوايا بالمدفعية، ولا يستطيع أن يتحصن المقاتلون فيها، كما قام بتجنيد بقايا جنود رابح، ودُرِّبوا استعدادًا للمعركة، وشُكِّلت قوة تتكون من 600 مقاتل، نصفهم من المجندين الجدد، وفي 18 يناير 1902م، قرر تيتار التقدم نحو زاوية بير علالي، خاصة عندما علم أن الإمدادات بقيادة البراني قادمة من قرو، ويقرُب وصولها إلى زاوية بير علالي، غير أن الشيخ البراني علم من الطوارق أن قوة فرنسية غادرت ماو في طريقها إلى بير علالي، فغادر على الفور هو والقوات التي معه، فدخل الزاوية قبل وصول الفرنسيين (Triaud, 1987, pp. 26-27)

وفي صباح يوم 20 يناير 1902م، حاولت القوات الفرنسية محاصرة زاوية بير علالي، فأُطلِقت عليهم النار من خندق مموه، إلا أن القوات السنغالية والمجندين استطاعوا القضاء على الطوارق الذين في الخندق، ومع ذلك استغلت فرقة أخرى من الطوارق الخلل والفوضى التي حدثت نتيجة هذا الهجوم، وقاموا بالهجوم على قوات المدفعية التي كانت على يمن الزاوية، فرموهم بالأسلحة الرشاشة، ومع كل هذه المقاومة وضروب الشجاعة التي أظهرها الطوارق، أجبر المدافعون عن الزاوية على الانسحاب وتركها للفرنسيين.

وبسقوط زاوية بير علالي سقطت كانم في يد القوات الفرنسية، لذا كان عام 1902م عاما قاسيا على الحركة السنوسية، إذ فيه فقدت الحركة زاوية بير علالي أهم موقع استراتيجي للحفاظ على إقليم كانم، لينتهي بوفاة السيد محمد المهدي السنوسي المؤسس الثاني للحركة في 2 يونيو 1902م؛ نتيجة مرض ألم به منذ فترة، ونظرًا لصغر سن أبنائه السيد محمد إدريس السنوسي والسيد محمد الرضا، فقد أوصى السيد محمد المهدي

بزعامة الحركة السنوسية لابن أخيه السيد أحمد الشريف، وبذلك يكون الإمام الثالث للحركة السنوسية. (شكري، 1948، ص ص 96-97)

وباستلام السيد أحمد الشريف إمامة الحركة السنوسية يونيو 1902م، كان أمامه تحديات عليه البت فيها فورا ووضع حلول لها، أهمها الحرب ضد فرنسا في إقليم كانم، وبناء على وصايا من مستشاريه استدعى محمد السني إلى زاوية قرو، وطلب منه إعادة تنظيم الزوايا في إقليم بوركو، وعينه قائم مقام بوركو ومقر إدارته قرو، وقام باستبدال السيد البراني الساعدي من قيادة الحرب في إقليم كانم، وخاصة بعد إخفاقه في معركة بير علالي الثانية والثالثة، بالشيخ محمد بو عقيلة الزوي؛ وذلك لما عرف عنه من حنكة سياسية ودراية بفنون الحرب والقتال. تمكن بو عقيلة ومساعده زين العابدين السوداني في ليلة الرابع من ديسمبر 1902م، من التقدم نحو زاوية بير علالي والتمركز على بعد 150 مترًا من الحصن، ومع بزوغ الفجر الخامس من ديسمبر بدأ الهجوم الذي لم يستمر طويلا؛ بسبب وقوع المجاهدين في مرمى نيران المدفعية الفرنسية، التي نجحت في صد الهجوم، وقتل عدد كبير من المجاهدين، قدرته المصادر الفرنسية بـ 164 شهيدًا، من بينهم الشيخ محمد بو عقيلة الزوي والشيخ زين العابدين، أما في الجانب الفرنسي ذكرت المصادر الفرنسية 17 قتيلًا و38 جريحًا.

فكانت نتيجة هذه معركة أن السيد أحمد الشريف وكبار الإخوان أدركوا أنهم قد خسروا معركة كانم، وبير علالي، ولذلك قرروا الانسحاب إلى إقليم بركو في الشمال، كما قرر الشيخ أحمد الشريف نقل المقر الرئيس من قرو إلى الكفرة، التي وصلها في مارس 1902م، حتى يكون في مأمن من التحركات الفرنسية (نجم، 2016)، ومن الإجراءات الجديدة التي اتخذها السيد أحمد الشريف هي إعادة تنظيم إقليمي بركو وأندي؛ حتى يكونا مقرًا جديدًا للمهاجرين من الإخوان و حلفائهم من إقليم كانم.

وبناء على ما سبق ذكره أصبحت زاوية عين كلك محور المقاومة، والحصن الدفاعي الأول عن إقليم بركو، الذي يضم ست زوايا، هي: زاوية قرو، وعين كلك، وياردى، وجنقة الكبير، وجنقة الصغيرة، وزاوية ون في فايا، وبعد سقوط زاوية بير علالي أصبحت زاوية عين كلك أهم زاوية في إقليم بركو وشمال تشاد، ولهذا أصبحت هي محور الصراع مع القوات الفرنسية القادمة من الجنوب.

ولأسباب منهجية تتعلق بصعوبة الفصل بين شيوخ الزاوية والدور العسكري لها، وتسهيلا لدراسة الموضوع رأيت توضيح هذه المسألة عبر شرح دور شيوخ هذه الزاوية في تطويرها عسكريا وسياسيًا وإداريًا، إذ

تشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن أهم مشايخ الزاوية هم البراني الساعدي وعبد الله طوير، ولهذا سوف يقتصر حديثنا عنهما.

3) <u>شيوخ الزاوية:</u>

أ- الشيخ البراني الساعدي الزوي:

سبق الحديث عن الشيخ البراني الساعدي باعتباره أحد أهم شيوخ الزوايا السنوسية في تشاد، فقد تولى زاوية بير علالي بالظروف المحلية الصعبة، المتمثلة في الصراع القبلي، ناهيك عن تقدم القوات الفرنسية نحو الشمال بعد إسقاط مملكة رابح الزبير وقتله، ولكن من هو الشيخ البراني الساعدي، في حقيقة الأمر أنّ المعلومات التي تتحدث عن السيرة الذاتية للرجل قليلة على الرغم من دوره البارز في نشر الدعوة السنوسية والدفاع عنها ضد الاستعمار الفرنسي، ومع ذلك تحصلت على نزر من المعلومات عن هذا الشيخ الجليل، وهي تسلط الضوء على صعوده في الحركة السنوسية، على الرغم من نشرها في صحف إلكترونية، ولكن بعد التحقق من هذه المعلومات من عائلة الشيخ البراني يمكن الركون إليها والاستشهاد بها، إذ تشير الروايات المحلية أن المجاهد البرانى الساعدي ولد في منطقة بو عفان جنوب شرق أجدابيا بليبيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو البرانى الساعدي حسن مفتاح عبد الحفيظ، من قبيلة زوية، ومن بيت آل مفتاح تحديدًا، وجده لأبيه الولي الصالح سيدي حسن صاحب المقام والضريح الشهير المسمى عليه مقبرة أجدابيا القديمة.

أرسله والده إلى زاوية الجغبوب؛ ليحفظ القرآن الكريم، وليتعلم أصول الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وبعد أن تحصل على قدر واف من العلوم الشرعية والفقهية، سافر إلى منطقة (العقبة)، وهي المنطقة الممتدة من السلوم شرقا إلى مرسى مطروح، حيث مكث هناك شيخا لإحدى الزوايا التي تسمى زاوية (الشيخ) لأكثر من عشرين سنة، وهي المنطقة المسماة باسمه في مصر منطقة سيدي البراني، بعد ذلك سافر الشيخ البرانى الساعدي إلى منطقة الحمادة الحمراء؛ لكي يدّرس القرآن الكريم، وعلوم الشريعة الإسلامية، حيث بقي هناك أكثر من سنتين يدرس القرآن الكريم في إحدى زوايا منطقة الحمادة ، بعد ذلك أرسل له السيد المهدي طالبًا منه الذهاب إلى تشاد، وذلك لتلبية طلب بعض السلاطين في تلك المناطق من تشاد؛ لتزويدهم بشيخ يعلم

.....

الناس أصول الدين الإسلامي، ويفصل بينهم بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع القضايا المدنية والأموال والأحوال الشخصية (https://elmeezan.com، 2020) .

كلف الشيخ البراني من قبل سيدي المهدي بعدد من المهام، فكان سياسيا ومعلما و قائدا عسكريا، بدأ مهامه مبعوثًا لقبائل أولاد سليمان؛ للتوافق معهم على تأسيس زاوية بير علالي، ومحاولة خلق نوع من التحالف مع الطوارق القادمين إلى كانم من النيجر، بعد تقدم القوات الفرنسية على مواقعهم، (بتقه وخالد، 2010) نجح البراني فيما كلف به على الرغم من صعوبة المهمة، فقد استطاع إحضار زعماء أولاد سليمان إلى قرو، وعقد اتفاق برعاية سيدي المهدي.(Triaud, 1987, p. 58)

وهكذا أسس زاوية بير علالي 1899م، التي تصدَّى فيها للقوات الفرنسية كما سبق أن ذكرنا آنفًا، ونتيجة لإخفاقه –كما ذكرت لأسباب عديدة أهمهما التفوق التقني للقوات الفرنسية– أجرت القيادة السنوسية بعض التغيرات في القيادة، وطلب من سيدي البراني تولي مشيخة زاوية عين كلك، ليحل محله سيدي محمد بو عقيلة الزوي في قيادة زاوية بير علالي.

كان للشيخ البراني الساعدي في زاوية عين كلك دورٌ تعليميٌّ وتثقيفي، غير أن خطر تقدم القوات الفرنسية وحالة التعبئة العامة هي التي كانت سائدة، فالقوات السنوسية كانت في حالة نفير، خاصة بعد سقوط زاوية بير علالي واستشهاد محمد بو عقيلة الزوي.

وبخسارة السنوسيين لبير علالي التي تمثل منطقة جيو–استراتيجية في الطريق نحو بحيرة تشاد سيطر الفرنسيون على إقليم كانم، وشيدوا قلعة جديدة مكان زاوية بير علالي، وتأكيدا على سيطرتهم على الإقليم أطلقوا عليها اسم حصن برادي Fort-Pardié وهو اسم جندي قتل في معركة بير علالي الثانية. (Triaud, 1995, p. 654)

إن تطور الوضع السياسي في إقليم بركو، واستمرار حالة الفراغ السياسي في المنطقة التي بين إقليمي بركو وكانم، جعلت منها منطقة للغزو وللعمليات العسكرية ما بين أنصار المعسكر السنوسي خاصة معسكر الدور.

وبعد مواجهة القوات الفرنسية في بير علالي، أصبح الإخوان أكثر تنظيما عن طريق مفارز مسلحة شمال الخطوط الفرنسية، وفي المستقبل القريب أضحت السنوسية بعيدًا عن متناول الفرنسيين، حيث اعتمدت السنوسية على المسافة وتعزيز قواتها في عين كلك، بالإضافة إلى استخدام البدو في الدور والمنطقة كستار

وقائي لها، وعلى الجانب الفرنسي –ولأسباب سياسية وعسكرية– منعت باريس أي إجراءات عسكرية خارج إقليم كانم، لا ترغب باريس في مواجهة عسكرية مع السنوسية، إذ لم يعد الإخوان في هذه المرحلة هدفا ذا أولوية.

غير أنه في عامي 1906–1907م، شهدت تصاعدا كبيرا في عمليات الغزو بين القبائل الرحل، وزادت هذه العمليات حدة عندما دخلت مجموعات الدور بقيادة صالح بو كريم، لتزيد من حدة الصراع، وعند ذلك قرر الجنرال لارجو في مارس 1907م وضع حد لعمليات الغزو والانفلات في إقليم بركو، وتجاوز الهدنة التي كانت مفروضة من باريس، وعلى الرغم من نفي السلطات الفرنسية ففي 22 مارس 1907م تحركت قوة عسكرية فرنسية بقيادة الكابتن بردو، الذي وصل إلى وطية في 8 أبريل 1907م، فوجدها خالية من الدور بعد أن غادروها، فتقدمت القوات الفرنسية صوب فايا، فدخلت زاوية فايا في 17 أبريل بعد أن انسحب منها الإخوان الذين كان عددهم لا يتجاوز اثني عشر رجلاً، وفي 20 أبريل وصلت القوات الفرنسية إلى عين كلك التي كانت حتى ذلك الوقت –كما سبقت الإشارة– زاوية عادية غير محصنة وفي السهل، واستمرت المعركة طول اليوم خارج الزاوية، وفي الليل انسحب الإخوان منها، واستشهد الشيخ البراني الساعدي ونائبه الشريف الزروق في أثناء القتال؛ دفاعا عن الزاوية بكل بسالة وشجاعة، وقتل خمسة جنود من الفرنسيين، وجرح جنديًّا حسب تقرير الكابتن بوردو، وبعد السيطرة على الزاوية أقدمت القوات الفرنسية على حرق مكتبة زاوية عين كلك، وهي مكتبة عظيمة وغنية، فقد وصفها بردو بأنها مكتبة عربية كبيرة يصعب حملها، وأغلب الكتب هي من القرآن الكريم. (Djian, 1996, p. 128)

وفي يوم 23 أبريل انسحبت القوات الفرنسية من عين كلك، وتمكن السنوسيون من استعادة الزاوية، أما بالنسبة للفرنسيين فالمعركة لم تحقق لهم شيئا، إذ لم تستطع القوات الفرنسية الاحتفاظ بالزاوية، وذلك لعدة أسباب منها:

1– القوة التي كانت مكلفة بالمهمة هي في الواقع قوة استطلاع وإيقاف أعمال الغزو التي تقوم بها القبائل الموالية للحركة السنوسية الموجود في بركو وتقوم بالغزو نحو إقليم كانم.

2– إن سهولة احتلال زاوية فاي Faya هي من شجعت الكابتن بردو Bordeaux ورفاقه بالاستمرار في التقدم نحو زاوية عين كلك، ولذلك عندما واجهت هذه القوات مقاومة في عين كلك اضطرت إلى تركها على الرغم من انتصارها واحتلال الزاوية.

3- إن سرعة سقوط زاوية فاي وعين كلك أوضح لإخوان السنوسية ضعف الاستعدادات العسكرية والنظام الدفاعي والتسليح في الزوايا في إقليم بركو.

استشهد الشيخ البراني الساعدي بعد أن قدم حياته خدمة للإسلام ونشره وتعليمه، ويسجل له أنه من أسس زاوية بير علالي، وصالح بين قبيلة أولاد سليمان، وهو من أشرف على تكوين حلف الحركة السنوسية بين أولاد سليمان والطوارق بإشراف وترشيد من سيدي محمد المهدي، وبعد خسارته للمعركة الثانية في بير علالي نقل إلى عين كلك لرعاية الزاوية وإدارة أمورها، وظل في خدمة الحركة والدفاع عنها حتى رزقه الله بالشهادة هو ونائبه دفاعا عن الحركة السنوسية، وعلى الرغم من المماحكات التي كانت تحدث بين قادة الإخوان وكثرة الشكاوى منه وفي طريقته في إدارة الزاوية، التي كانت آخرها قبل استشهاده في عين كلك –فإن ذلك لا يقلل من دوره الكبير في خدمة الإسلام والحركة السنوسية، ويعد أحد رموز الإخوان السنوسية في تشاد، حيث تولى أبرز زاويتين في تاريخ الحركة في تشاد: بير علالي، وعين كلك.

ب- الشيخ عبد الله الفضيل طوير:

الشيخ عبد الله الفضيل بومرزوق الملقب طوير من قبيلة ازوية. فرع اجلولات، ولد في الكفرة تقريبا سنة 1860م، وأمّه هي الدايخة غيضان من عائلة المجلوم، بيت شاهين بقبيلة العبيدات... يرجح حفيده (عبد الله أحمد طوير) أنه تلقّى تعليمه الأوّل في كتاتيب النجع. ثم شدَّ الرحال صوب الجغبوب لتلقي العلم، ويضيف أن جده عبد الله طوير كان ينهل من كتاب الله العزيز، وينذر نفسه له. ويتعهده بالقراءة والحفظ والمداومة، وتحتفظ زاوية الجغبوب بمصحف مكتوب بخط يد عبد الله طوير... وبعد انتقال سيدي المهدي السنوسي من الجغبوب إلى الكفرة ارتحل معه الشيخ عبد الله طوير، ثم تابع مسيرته معه نحو زاوية قرو، وفي سنة 1899م كُلِّف برحلة استطلاعية مع الشيخ عمر المختار إلى منطقة عين كلك، حيث تزوج هناك ببنت شيخ قبيلة ككردى بعين كلك. (جهاد الحركة السنوسية، 2013، ص 41)

وبرز دور الشيخ عبد الله طوير السياسي والعسكري بعد استشهاد البراني الساعدي، وكُلِّف بمشيخة الزاوية، وفي واقع الأمر أن المصادر تشير إلى أن عبد الله طوير قبل الهجوم الفرنسي على عين كلك كلف بمهمة من قبل السيد أحمد الشريف، ألا وهي تنحية الشيخ البراني الساعدي وتكليف نائبه الشريف الزروق مكانه على زاوية عين كلك، وكان على رأس قوة قدرت ب 70 رجلاً من زوية والمجابرة، ومهمتها تنفيذ أمر

تسليم الزاوية للزروق، ولكن الشهادة سبقت طوير على تنفيذ أوامر السيد أحمد الشريف، فرأت القيادة السنوسية إسناد الزاوية التي تعرضت للهدم والحرق للشيخ عبد الله طوير في 23 أبريل 1907م. (Djian, 1996, p. 129)

أولى الأعمال التي قام بها سيدي عبد الله طوير هي إعادة بناء الزاوية، حيث قرر هو ومن معه من الفنيين وكبار الإخوان نقل بناء الزاوية إلى تلة مجاورة؛ حتى يستطيع الدفاع عنها، كما بُنِيت الزاوية بوصفها محمية عسكرية، وهذا أُشير إليه سابقا، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حنكته العسكرية، التي سوف تظهر في قوة شكيمته وحزمه تجاه القوات الفرنسية.

ولم تقتصر أعمال طوير على بناء الزاوية وتحويلها إلى محمية عسكرية، بل عمل على تطوير الزاوية في المجال الاقتصادي، وفي هذا الصدد دخل في مفاوضات مع السيد أحمد الشريف؛ للحد من هيمنة الزاوية الرئيسة في قرو بقياد الشيخ عبد الله السني، وجعل منها منافسًا قويا لها، وبدعم من السيد أحمد الريفي تحصل منذ عام 1909م على إعانة من الزاوية الرئيسة في الكفرة قدرت بـ 500 مجيدي، واستمرت حتى عام 1912م. وانعكس هذا العمل على تطوير الأعمال في الزاوية بعد أن تعرضت للتخريب والحرق عقب الحملة الفرنسية الثانية سنة 1908م.

و من ضمن الإصلاحات الاقتصادية التي نفذها عبد الله طوير السيطرة على منطقة بيدو Bedo التي تقع 60 كم شمالاً من عين كلك، حيث عيَّن طوير ممثلا دائما للزاوية، يأخذ ربع منتج مصانع الملح، بينما يشير لا رجو إلى أنه أخذ نصف الملح لصالح الزاوية، كما يشير لا رجو إلى إنفاقه على العاملين في هذا المجال، حيث صرف بعضًا من هذا العائد على الأسر وعلى ملابس النساء العاملات في مصانع الملح.

ومن ضمن الأعمال التي نفذها طوير أيضا بناء أكواخ في منطقة Tiggui، حيث جمع فيها التمور والملح، فكانت هذه الأكواخ بمثابة مخازن لتجميع المحاصيل، وفي المسار الإصلاحي ذاته الذي تبناه عبد الله طوير شيخ الزاوية لتحفيز العمال فقد سمح للعبيد والزنوج والأسر أن يعملوا لحساب أنفسهم في قطع أراضٍ خاصة بهم، بعد انتهاء العمل لحساب مجتمع الزاوية، وذلك مراعاة لنفقاتهم واحتياجاتهم الشخصية، وقد ساهمت هذه الإصلاحات في رفع القدرة الإنتاجية للزاوية، حتى أصبحت –كما أسلفنا– أكبر مورد للزكاة في مجموع زوايا إقليم بركو. (Triaud, 1995, pp. 663-664)

وضع الشيخ عبد الله طوير بفضل إنجازاته الاقتصادية والعسكرية نفسه في مصاف كبار قادة الإخوان، على الرغم من تبعيته الإدارية لزاوية قرو، وللشيخ محمد السني، وبسبب القدرة العسكرية للمقاتلين وللزاوية جعلت من الشيخ يرى في نفسه ندا للزاوية الكبيرة زاوية قرو، وقيادتها التاريخية المتمثلة في محمد السني، فنجح عبد الله طوير بالإضافة إلى ضم منطقة Bido et Tiggui، في ضم زاوية ياردا Yarda على الرغم من معارضة زاوية قرو، وربما إرضاءً لها أعطيت زاوية ون Woun، ويشير جان لوي تريو إلى أنه كان هناك نوع من الانقسام بين الزوايا الصغيرة: ياردا، وون، وواينج الكبيرة، والزاويتين الكبيرتين عين كلك وقرو، اللتان استنزفتا معظم منتج الزوايا الصغيرة، مما اضطر شيوخها إلى العيش على الكفاف، وكانوا يتحدثون عن إحباطهم؛ بسبب الإيرادات الضئيلة، نتيجة شعورهم بالفقر والعجز، خاصة بعد سقوط أبشة عاصمة سلطنة وداي في عام 1909.

- **معركة عين كلك الثانية 1908م:**

في محاولة فرنسية للحد من الغزوات وحرب العصابات التي كانت تقوم بها القوات السنوسية وحلفاؤها، بقيادة عبد الله طوير وقادة الدور في إندي، رغب الكابتن بردو في وضع حد لعمليات الغزو نحو حلفائهم، وتحقيقا لهذا الهدف أرسل الكابتن بردو Le capitaine Bordeaux النقيب سيلي Cellier، على رأس قوة للسيطرة على زاوية عين كلك –مركز السنوسيين في الإقليم– فانطلقت القوات الفرنسية من معسكرها في منطقة زقي Zigue، ووصلت إلى عين كلك يوم 26 سبتمبر 1908م، غير أن الزاوية هذه المرة أصبحت حصنا عسكريا منيعا بعد نقل مقرها –كما ذكرنا– إلى تلة مرتفعة، وأحيطت بسياج أكثر تحصينًا و تسليحًا من المرة السابقة، فقد استعد الشيخ عبد الله طوير للأمر، وذلك بتعزيز دفاعاته للزاوية، وبعد هجوم فاشل في صبيحة الثاني من سبتمبر 1908م، خسرت على إثرها القوات الفرنسية، اثني عشر قتيلًا وتسعة عشر جريحًا، وفي محاولة من القوات المهاجمة للتغطية على خسائرها، وانتقامًا من السنوسيين بحرمانهم من مواردهم المحلية، أضرمت القوات الفرنسية النار في جميع بساتين النخيل في المنطقة بين كلك وفايا، وفي فايا التي احتلت زاويتها للمرة الثالثة "نصف نخيل دمر تمامًا، والباقي لن يؤتي ثماره لمدة عامين أو ثلاثة أعوام، وفي واقع الأمر إن الوضع في عين كلك قد تغير بعد الهجوم الذي قاده الكابتن بردو سنة 1906م، واستشهد على إثره الشيخ البراني الساعدي،

فالزاوية تغير مكانها من مكان منخفض إلى تلة مرتفعة، وجددت على شكل قلعة محاطة بسور مرتفع مثقوب بالثغرات، وتدافع عنها حامية كبيرة يرأسها قائد ذو همة عالية وحنكة عسكرية.(Triaud, 1995, p. 681)

ومما لا شك فيه أن انتصار عبد الله طوير على القوات الفرنسية وردها على أعقابها أمام أسوار عين كلك، قد عزز الثقة في قدراته العسكرية، وجعل من عين كلك خطَّ المواجهة الأول مع الفرنسيين، لذلك أخذ يفكر في إعداد قواته للهجوم على المراكز الفرنسية قبل الوصول إليه، فأطلق عيونه في المناطق الخاضعة للسلطة الفرنسية والمتعاونة معها، حتى وصلت معلومات تفيد بإعدادها لحملة موجهة ضده.

- **معركة واشنكلي نوفمبر 1909م:**

أوضح الشيخ عبد الله طوير أسباب هذه المعركة في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمد السني شيخ زاوية قرو وقائم مقام بركو، بتاريخ 16 نوفمبر 1909، وذلك في النقاط الآتية (Djian, 1996, p. 141):

1- سقوط سلطنة وداي وعاصمتها أبشة في يد الفرنسيين، وهجرة السلطان دودموري وأنصار السنوسية، وتنصيب أصيل سلطانا بديلا عنه.

2- إن القبائل المحلية بعد سقوط أرشي في يد القوات الفرنسية بدأت تتخلى عن التحالف مع السنوسية، وتدخل في نفوذ الحكومة الفرنسية، وهذا يؤدي إلى ضعف نفوذها ووجودها في المنطقة.

3- وصول معلومات وصفها بالمؤكدة عن طريق أحد عيونه من القرعان أن القوات الفرنسية من المهاريين في مخيم واشنكلي في كانم تعد العدة للهجوم على زاوية عين كلك.

ولهذه الأسباب قرر الشيخ عبد الله طوير الهجوم على معسكر الفرنسيين في وانشكلي دون انتظار الحصول على إذن من قائم مقام بركو الشيخ محمد السني؛ وذلك لأن العدو يحشد قواته للهجوم على كلك، ومع ذلك أرسل رسالة إلى شيخ محمد السني يعلمه بكل هذه التفاصيل، ويطلب منه إخبار السيد أحمد الشريف بالأمر، واستعد الشيخ عبد الله طوير على رأس قوة من90 مجاهدًا، بينما المصادر الفرنسية قدرت عدد المجاهدين ب 250 إلى 300 مجاهد بقيادة الشيخ عبد الله الغرياني بودربالة والشيخ محمد كوسن التارقي (Djian, 1996, pp. 141-142)

وفي صباح 27 نوفمبر 1909م، وفي عملية جريئة هاجم عبد الله طوير ورفاقه من المجاهدين معسكر الملازم موتو Moutot في اونشكلي الذي كان يضم 50 جنديًّا، بالإضافة إلى عدد كبير من المساعدين

والمهاريين ورعاة الإبل، وعلى الرغم من إطلاق الحارس الرصاص لإنذار الجنود الفرنسيين فإن قوات طوير كانت قريبة جدا، فقذف الهجوم المفاجئ والقوي الرعب في قلوبهم، حتى إنهم انسحبوا من المعسكر دون مقاومة، تاركين خلفهم كل أسلحتهم و54 قتيلاً، وانسحب الملازم موتو بعد أن أصيب في المعركة و43 من جنوده، ودخل طوير ورفاقه المعسكر الفرنسي في اوشكلي، وكانت غنائمهم 28 من الأسلحة، و6000 طلقة، وبندقيتين نوع غدارة، وخزينة المعسكر، والإبل والمواشي الموجودة هناك، وانسحب المجاهدون في اليوم الثاني من المعسكر بعد تمشيط منطقة واشكلي.

وأشار طوير في رسالة ثانية بعث بها إلى محمد السني بأنهم انتصروا على المسيحيين وصادروا كل ما يملكونه من الأسلحة والإبل، واستشهد 11 مجاهدًا من رفاقه (Djian, 1996, p. 143).

وكانت نتائج معركة واشنكلي والصمود في عين كلك قاسية وكبيرة على الفرنسيين، فمن الناحية العسكرية أدت هذه الهزائم المتلاحقة إلى انسحاب معظم القوات الفرنسية من إقليم كانم، واهتزاز هيبة فرنسا في الإقليم، في حين عزز هذا النصر مكانة السنوسيين في بركو، وفي الوقت ذاته أدرك السيد أحمد الشريف أن هذه الحملة لن تكون الأخيرة، وإنما هي البداية للزحف نحو إقليم بركو، ولذلك بدأ التفكير جديا في إيجاد حليف جديد بعد لمس عدم قدرة القوى المحلية إيقاف التقدم الفرنسي؛ بسبب الفارق في الإمكانات العسكرية والتقنية، إذن الخيارات أمام الشيخ أحمد الشريف أصبحت قليلة، هل يترك إقليم بركو للفرنسيين وينسحب منه؟ أم يبحث عن تحالف مع قوى إقليمية جديدة لإيقاف التقدم الفرنسي؟ وفي الوقت ذاته فإن الإدارة الفرنسية بعد إخفاق حملة Cellier، على زاوية عين كلك في سبتمبر 1908م قررت إرجاء حسم قضية إقليم بركو حتى تعيد بناء قوات الهجانة، التي سحقها طوير بشكل جيد، وهذا ما نوه إليه العقيد لارجو في كتابه ميلاد تشاد. (Largeau, 2001, p. 113)

- **زاوية عين كلك في ظل التحالف العثماني السنوسي في شمال تشاد:**

تشير المصادر إلى أن الوجود العثماني في شمال تشاد، وفي إقليم بركو بالتحديد، جاء بتضافر جهود محمد السني قائم مقام بركو وشيخ زاوية قرو وسامي أفندي متصرف فزان، وذلك لرغبة الأول في الحد من التقدم الفرنسي نحو بركو، ووضع حد لفوضى القبائل المحلية وعمليات النهب والغزو، بينما يطمح الثاني لربط إقليم بركو بالمجال العثماني. (تشايجي، 1982، ص 247)

.....

ما الأسباب الحقيقية وراء ذلك التقارب؟

إن ذلك التقارب العثماني السنوسي بدأ منذ قبول السيد أحمد الشريف رفع العلم العثماني في الكفرة، سنة 1908 من قبل عمر الكيخيا عضو مجلس المبعوث العثماني عن متصرفية بنغازي، ثم قبول السيد أحمد الشريف تعين الكيلاني الأطيوش قائم مقام للسلطة العثمانية عن الكفرة، ومما زاد من صعوبة الوضع للقوات السنوسية هو الزحف الفرنسي على سلطنة وداي، وسقوط أبشة وإندي في يد القوات الفرنسية في يوليو 1911م، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت من الوجود العثماني في بركو مرَّحبًا به، ومع ذلك كان السيد أحمد الشريف مترددًا في قبول الوجود العثماني في بركو، على الرغم من أن محمد السني عمل جاهدا لتبديد مخاوف سيدي أحمد الشريف، وذلك بقوله: (إن القدوم العثماني سيكون شرًّا ولكن يجب قبوله لتجنب شر أكبر) (Triaud, 1995, p. 727).

وصلت البعثة العثمانية الأولى إلى عين كلك في مارس 1911م، وتتكون من ستة أشخاص، من بينهم دليل ومترجم، محملين بهدايا أربعة مصاحف للسيد عبد الله طوير وسيدي محمد السني، وكانوا يرغبون برفع العلم العثماني على زاوية عين كلك، فرفض طوير بحجة أن مبنى الزاوية وقف، واقترح عليهم الذهاب إلى أم شلوبة والوطية، وإذا كان الهدف هو كانم فإنهم مرحب بهم، أما بركو فإن الأمر غير ذلك. بعد فترة قصيرة قضاها العثمانيون في زاوية ون غادروا إلى تبيستي.

وبعد بضعة أشهر، وفي 8 أكتوبر 1911م، وصل مائة جندي عثماني وستة وعشرون ضابطًا، مزودين بمدفع أمام زاوية عين كلك، فطلبت القوة العثمانية من عبد الله طوير مغادرة الزاوية وتسليمها، فرفض طوير في الوهلة الأولى، ولكن أمام القوة العثمانية انسحب إلى زاوية ياردا حيث تقع على بعد 100 كم شمال شرق عين كلك، هو وجنوده وعبيده وجميع العائلات، وظلت عين كلك تحت الحكم العثماني حتى انسحاب آخر جندي منها في مايو 1913م. (Triaud, 1995, p. 728)

وعلى الرغم من تحرش القوات العثمانية بالشيخ عبد الله طوير، فإن الكابتن رفيق قائد القوة العثمانية في بركو نبه قواته بعدم الاشتباك مع القوات السنوسية، ومن جهة السنوسيين كانوا بحاجة إلى مساعدة القوات العثمانية، لذلك فإن رفيق بك وجد نفسه ملزمًا بتقاسم المسؤوليات مع إخوان السنوسية، وخاصة عبد الله طوير

وقواته، فهؤلاء يملكون سلطة حقيقية على الأرض، وشبكة من العلاقات الواسعة مع الفاعلين المحليين من زعماء البدو الرحل.

لم تستمر القوة العثمانية كثيرًا، إذْ غادر رفيق باشا عين كلك، بعد الهجوم الإيطالي على طرابلس وبداية الحرب الإيطالية العثمانية، وترك مسؤولاً مدنيًّا وهو سنوسي الشتيوي يوقع باسم قائم مقام تبو بركو، وملازم على رأس مفرزة عثمانية، غير أن توقيع اتفاقية الصلح أوشي لوزان مع الحكومة الإيطالية سنة 1912م، التي قضت بانسحاب القوات العثمانية كلها من ولاية طرابلس الغرب، وانهيار الوضع في أندي نتيجة لتقدم القوات الفرنسية في بكي Baki، الذي أظهر عجز القوات العثمانية، فأجبرت على الانسحاب في 14 مارس 1913م نحو عين كلك. (تشايجي، 1982، ص ص 254–255)

وفي 15 مايو 1913م كان الضابط ديفور Dufour، قائد فرقة الهجانة في منطقة أندي على رأس قوة تتكون من 100 مقاتل في جولة استطلاعية، رصدت قافلة في منطقة أم العظام، فاعترضها، وبعد مفاوضات أسر رعاتها وحمولتها، التي تبين فيما بعد أنها تتبع إخوان السنوسية، وأن قائد هذه القافلة هو الشيخ صالح بو كريم، ومعه عبد الرحيم بو مطاري والشيخ أبو بكر الغدامسي، وكانت القافلة تضم أكثر من 100 من الإبل، و37 بندقية، وكميات كبيرة من العاج والمؤن، وعدد من الأسلحة البيضاء، ونقلت القافلة والأسرى إلى منطقة أبشة، بينما رُحِّلَ الشيخ صالح بو كريم إلى فور لامي Fort-Lamy.

وبمجرد وصول الخبر إلى الشيخ عبد الله طوير –الذي كان في 18 مايو 1913م في منطقة موسو MOUSSOU، ما بين كلك وأم العظام شرق فايا– انتابه الغضب من وقوع الشيخ صالح بو كريم ومجموعة من قادة الإخوان في الأسر، فقرر على الفور التحرك لتحرير الأسرى والقافلة، فخرج هو ونخبة من كبار قادة الإخوان و370 مجاهدًا من الإخوان وحلفائهم نحو الشمال في منطقة تعرف ببير صويلة Souala قريب من أم العظام، و مع بزوغ فجر 23 مايو 1913م تقدمت قوات المجاهدين نحو المعسكر الفرنسي بكل جرأة وشجاعة حقيقية، في بداية الأمر تمكن المجاهدون من الدخول إلى المعسكر الفرنسي، ولكن بعد ذلك أدركوا أنهم وقعوا في فخ الدخول إلى المعسكر، وأنهم طُوِّقوا من قبل القوات الفرنسية، التي بدأت بالرماية عليهم من كل اتجاه، فانتهت المعركة باستشهاد الشيخ عبد لله طوير وعدد كبير من رفاقه. وتشير المصادر الفرنسية إلى أن عدد الشهداء من الإخوان وحلفائهم من التبو والقرعان تقريبًا 71 شهيدًا و40 جريحًا، بينما تمكن الباقي من

الانسحاب حتى وصلوا إلى بير سيدي السني شمال منطقة أوتا Oueita، وتوفي في الطريق سيدي عفيف المريمي شيخ زاوية يردا Yarda، وصهره عبد القادر الأحول الزوي، فحين استقر المهدي محمد السني وعبد الرحيم الدلالية "بوحليقة" في فايا مع القرعان، واصل باقي الإخوان المسير حتى زاوية عين كلك، حيث جرى على الفور تعين الشيخ محمد بو عريضة خلفًا للمجاهد الشيخ عبد الله طوير.

وبعد استشهاد عبد الله طوير غادر سبع ضباط عثمانيين زاوية عين كلك إلى تبيستي، في 23 يونيو 1913م، وأعطى وزير المستعمرات الفرنسية موافقته لبداية العمل العسكري ضد السنوسية في شمال تشاد إلى مرلان Merlin، الحاكم العام لمستعمرات أفريقيا الغربية ولارجو Largeau.

في الثالث من سبتمبر 1913م وصل لارجو Largeau إلى فور لامي Fort–Lamy، وفي الأول من نوفمبر بدأت القوات تتجمع في زقي Ziguei، وفي 13 نوفمبر تكونت القوة من 766 مقاتلًا و1089 جملًا و35 حصانًا، وتحركت القوات باتجاه فايا، عين كلك، وكانتا الهدف الأساس للعقيد لارجو، وفي 22 نوفمبر 1913م وصلت القوات الفرنسية يوج Youggué في الطريق نحو عين كلك، التي وصلتها مع فجر 27 نوفمبر 1913م، وبعد معركة عنيفة استمرت أكثر من 13 ساعة تمكن الفرنسيون بفضل القوة النارية وسلاح المدفعية من الدخول إلى الزاوية، و استشهاد شيخ الزاوية محمد بو عريضة والشيخ السنوسي اشتيوي قائم مقام بركو السابق، وبسقوط زاوية عين كلك في يد القوات الفرنسية أسدل الستار على الوجود السنوسي في إقليم بركو، وأصبح سقوط باقي الزوايا في ياردا وفيا وقرو مسألة وقت، وهذا ما حدث في 14 ديسمبر 1913م، عندما دخلت القوات الفرنسية زاوية قرو؛ لتعلن نهاية وجود السنوسية في شمال تشاد. (Largeau, 2001, p. 233)

نتائج البحث:

مما سبق نستنتج الآتي:

مما لا شك فيه أن السنوسية قدمت في زاوية عين كلك نموذجًا جديدًا عما هو متعارف عليه في الزوايا السنوسية، التي هي عبارة عن مراكز دعوية ومدارس تعليمية تجذب الطلاب، وتؤمِّن الخائف والغريب، وعلى الرغم من كل الصعاب التي واجهها شيوخ زاوية عين كلك من تحديات طبيعية ومحلية وعمليات غزو وتهديد مستمر من القوى الاستعمارية، فإنها قدمت نموذجا للمدينة المحصنة في القرن التاسع عشر، عكس باقي الزوايا في إقليم بركو، التي ظلت محدودة للغاية في تطورها، بينما أصبحت عين كلك تدريجيا مدينة حامية وسط

الصحراء، وإن ظهور هذه الشبكة المتماسكة من الإخوان السنوسيين والفاعلين المحليين، دفع الزاوية أن تسير في مسارين: من جهة قوة عسكرية غازية نتيجة للتهديد الفرنسي، ومن ناحية ثانية منارة علمية تؤدي دورها الاجتماعي والثقافي والديني في بناء المجتمع المحلي.

وقد عمل شيوخ الزاوية على الوصول إلى المناطق الاقتصادية الغنية المحيطة بهم، واتضح هذا في ضمهم إلى اختصاصات الزاوية، مما أتاح لها قوة اقتصادية جعلتها مركزًا تجاريا وزراعيا كما بينته الإحصائيات الاقتصادية المشار إليها.

وإن إعادة تصميم الزاوية وبنائها على شكل حصن عسكري، والتدريب المستمر لقواتها جعل منها قوة عسكرية، استطاعت في العقد الأول من القرن العشرين تحقيق انتصارات عسكرية، وأثبتت وجهودها في المعادلة العسكرية في إقليم بركو كأقوى قوة سنوسية في المنطقة، وحتى عندما دخلت القوات العثمانية على خط الصراع السنوسي الفرنسي أصرت على السيطرة على عين كلك؛ وذلك لأهميتها الاقتصادية والعسكرية.

وكان لاستشهاد عبد الله طوير في معركة أم العظام وكثير من قادة الإخوان بالإضافة إلى انشغال الحركة السنوسية في حربها في شمال ليبيا ضد الغزو الإيطالي –السبب المباشر في سقوط الزاوية بل نهاية الوجود السنوسي في شمال تشاد.

قائمة المراجع:

1. ابرايدان، عبدالسميع عبدالكريم. (14 مايو ، 2014). السيد محمد المهدي السنوسي و دوره في تطوير الحركة السنوسية (1844–1932). 1–162. (عبدالمولى صالح الحرير، المحرر) بنغازي، ليبيا: جامعة بنغازي .
2. بتقه، إبراهيم و خالد، صابر شريف. (2010). ، مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر، 1890–1920. الجزائر: جامعة الجزائر.
3. تريو، تريو جان. (ديسمبر، 2017). الذاكرة في التاريخ الأفريقي : السنوسية في تشاد دراسة في حالة ودَاي. 41. (أحمد امراجع نجم، المترجمون) ليبيا: جامعة بنغازي.
4. تشايجي، عبدالرحمن. (1982)، الصراع التركي–الفرنسي في الصحراء الكبرى. (علي اعزازي، المترجمون) طرابلس: مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي.
5. جبران، محمد مسعود. (2006). محمد عبدالله السني 1851–1931. طرابلس : مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.
6. الحنديري، سعيد عبد الرحمن. (1998). تطور الحياة السياسية في تشاد. طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
7. الحنديري، سعيد. (1998). تطور الحياة السياسية في تشاد. طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

8. الدجاني، أحمد صدقي. (1967). الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر. القاهرة : دار لبنان للطباعة و النشر.
9. شكري، محمد فؤاد. (1948). السنوسية دين ودولة. دار الفكر العربي .
10. طوير، عبد الله أحمد. (2013). جهاد الحركة السنوسية . أجدابيا.
11. طوير، عبد الله أحمد. (27 يوليو، 2020). زاوية عين كلك و المجاهد عبد الله طوير. (أحمد مراجع نجم، المحاور)
12. طوير، عبد الله أحمد عبدالله. (الخميس شهر يوليو، 2020). زاوية عين كلك. (أحمد مراجع نجم، المحاور) أجدابيا .
13. عفين، محمد على محمد. (2009). الزاوية السنوسية نشأتها و دورها الاقتصادي 1841–1911. آداب الرافدين، الصفحات 1–22.
14. المنفي، وليد. (2019). علاقة آل الكزة بالحركة السنوسية 1841–1944. تأليف وليد المنفي (المحرر)، الحركة السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1844–1951 (الصفحات 1–43). الجغبوب: مكتب الإعلام والثقافة فرع الجغبوب.
15. ميسوم، ميلود. (يونيو، 2018). محمد بن على السنوسي منابع علمه ومنهج طريقته. الأكاديمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 134–142.
16. نجم، أحمد مراجع. (2016). القيادة السياسية والعسكرية للسيد أحمد الشريف السنوسي للحرب في تشاد ضد القوات الفرنسية 1902. مؤتمر السيد أحمد الشريف 1873–1933 حياته و جهاده. طرابلس: جمعية الشيخ الطاهر الزاوي الخيرية.
17. Baroin Catherine, P. P.-F. (1993, tome 63,). Le palmier du Borkou, végétal social total. . Journal des africanistes, pp. 5-20.
18. Carrique, C. (1935). Notice sur la « Ville inconnue » découverte à N'Galaka (Borkou). Journal de la Société des Africanistes, pp. 85-92.
19. Ciammichella, G. (1987). Libyens et France au Tchad 1897-1914. Paris: C.N.R.S.
20. Djian, o. i. (1996). Le Tchad et sa Conquete 1900°1914 ;, Paris, 1996, P118-120. Paris: L'Harmttan.
21. https://elmeezan.com.(2020 ،20 يوليو) .،/
22. Largeau, V.-E. (2001). . — À la naissance du Tchad (1903-1913) . Paris : Sépia.
23. Triaud, J.-L. (1987). Tchad 1900-1902, une guerre franco-libyenne oubliée. L'Harmattan,.
24. Triaud, J.-L. (1991). Les relations entre la France et Sanusiyya . Paris: Université de Paris VII.
25. Triaud, J.-L. (1995). legende-noire-de-la-sanusiyya 1840-1930 (Vol. 1). Marseille: Editions de la Maison des sciences de l'homme,.